الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945 –قالمة–
كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية
قسم التاريخ



محمد علي باشا و توسعاته في بلاد الشام (1805م-1839م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام

من إعداد الطالبتان:
* ريمة صغايري
* ليلى خلف الله

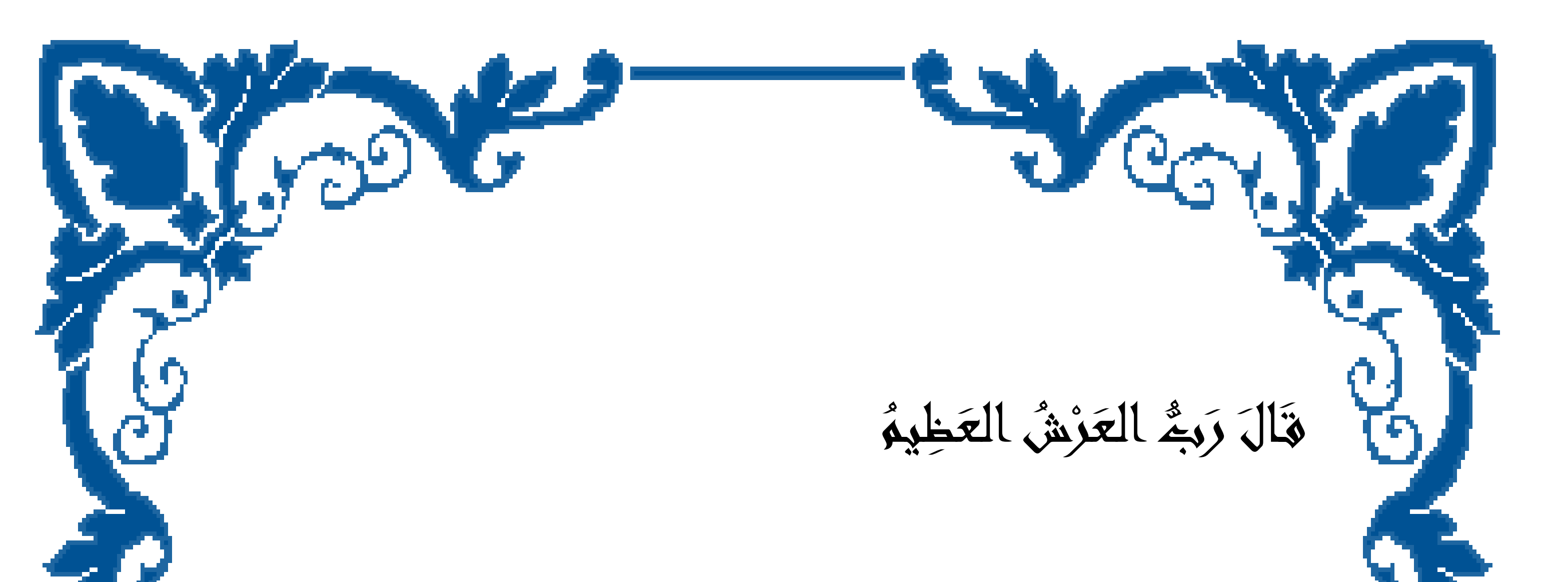
تحت إشراف الأستاذة:
* خميسة مدور

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
عبد الكريم قرين	أستاذ مساعد –أ–	رئيسا	جامعة 8 ماي 1945
خميسة مدور	أستاذ مساعد –أ–	مشرفا و مقررا	جامعة 8 ماي 1945
سعاد بن رمضان	أستاذ مساعد –أ–	عضوا مناقشا	جامعة 8 ماي 1945

السنة الجامعية 1436 هـ - 1437 هـ / 2015م - 2016م


بسم الله الرحمن الرحيم



قَالَ رَبُّ العَرْشُ العَظِيمُ

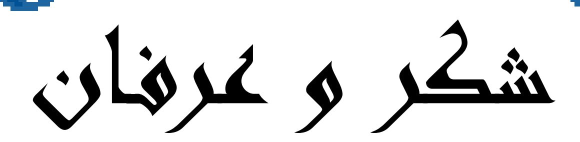
* بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ *

«وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى

عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ»

~صَدَقَ اللهُ العَظِيمْ~

~الآيَة (105) مِنْ سُورَة التَوْبَة~



قال الله تعالى:

«فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَ اشْكُرُواْ لِي وَ لا تَكْفُرُون»

~الآية (152) من سورة البقرة~

فالحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذا العمل و كما يقول رسولنا الكريم صلى الله عليه و سلم:

"مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ"

نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة "مدور خميسة على توجيهاتها و نصائحها القيمة، دون أن ننسى موظفي مكتبتنا الجامعية، و موظفي مكتبة جامعة قسنطينة على تسهيلاتهم لنا.

نشكر كل من ساهم بشكل أو بآخر في إنجاز

هذا العمل المتواضع.

الإهداء

فقد حان الحين عندما اكتمل جهدي المتواضع على أوراق معدودات لأهدي هذا العمل إلى:

- كل من رضي بالإسلام دينا و بمحمد نبيا و رسولا و بالقرآن منهجا و دستورا.
- الوالدين الكريمين.
- كل إخوتي و أخواتي.
- كل أصدقائي و زملائي.
- إلى أستاذتي و مشرفتي "مدور خمسية" و كل من يحملهم القلب و لم يذكرهم اللسان، و كل من شاركني هذا العمل و لو بأمنية صادقة.

– ريمة صغايري –

الإهداء

إلى حبيبتي قلبي الأولى و التي حملتني بين ضلوع أيام الآلام و الأوجاع ووضعتني مع الأهات و ضمتني بقبلات و بسمات، و التي إذا إبتسمت ضحكت و لا تدري ما السبب و إذا ألحدت بكيت و لا تعلم ما الخبر إلى أمي الحنونة "حورية " إلى مثل الأبوة صاحب القلب الملئ بكنوز الرحمة و الحب إلى أبي العزيز "حميد" إلى سندي في الشدائد و المحن و كان لي ينبوع الرحمة و الحب و العطاء إلى زوجي الغالي "عيسى" إلى من كانوا سندي في هذه الحياة إلى من ذللوا الصعاب إلي أشقائي" مالك- غاني- عزيزة" و "مراد" و برعومته الصغيرة "توبة" و "لامية" و أولادها "بدري- أسيل- عبد المؤمن"

إلى كل الرفقة و الأحبة " عبد الرحمن- تقوى- حنان "

و نهدي هذا العمل أيضا إلى كل طلب السنة الثانية ماستر الكرام، و خاصة الفوج (04) .

-ليلي خلف الله-

المقدمة

تعرضت الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر ميلادي للعديد من الأزمات الداخلية و الخارجية، مما جعلها تلجأ إلى طلب المساعدة من واليها القوي محمد علي باشا، هذا الأخير الذي كان رجلا طموحا الى حد الهوس، و الذي إستطاع أن يحقق الإنتصارات في جميع المهام التي كلف بها من قبل السلطان، فأخذ يطور مصر ليجعل منها دولة حديثة مفجرا بذلك نهضة كبيرة، حيث سعى إلى تحقيق ما لم يحققه غيره من إصلاح و تجديد خلال فترة الحكم العثماني، و من هنا بدأت أطماع محمد علي تظهر للوجود، و رأى بأن له الحق في تكوين إمبرطورية واسعة الأرجاء، و هذا الحلم لن يتحقق في إعتقاده إلا بضم بلاد الشام إلى ممتلكاته الخاصة،فبعد تخلص محمدعلي من المماليك في مصر والقضاء على الوهابيين في شبه الجزيرة العربية و إخضاع اليونانيين، بدأ ينظر بثاقب عينه إلى بلاد الشام، تلك الولاية التي رغب فيها منذ زمن طويل، فاستغل أوضاع الدولة المتردية و زحف نحو الشام، الأمرالذي دفع بالدول الأوروبي ة إلى التحرك لوقف زحفه، حيث وجدت في محمد علي و توسعاته عائقا كبيرا أمامها، و ما كان الهدف من هذه الدارس ة إلا للوقوف على البواعث الحقيقية التي دفعت بمحمد علي للتوسع في بلاد الشام، و الذي جعل الدول الأوروبي ة تخشاه، ضف إلى ذلك الإنجازات التي قام بها هذا الوالي الطموح حتى جعلت صيته ينتشر في أوروبا و الوطن العربي.

و انطلاقا من هذا وقع إهتمامنا على دراسة "توسعات محمد علي باشا"لا سيما بلاد الشام هذه الأخيرة التي رآها الباشا أنها بمثابة إمتداد لمصر، فموضوع محمد علي يعتبر من المواضيع التي لها أهمية تاريخية كبرى لأن الموضوع في حد ذاته جدير بإعطائه هذا الجانب من الأهمية و جدير بالمعرفة و التحليل، فسلسلة الحروب التي خاضها محمد علي مع الدولة العثمانية خلال الفترة(1831م-1839م) لا بد من دراستها و التعمق فيها للكشف عن حقيقة سياسة الدولة العثمانية و الدول الأوروبي ة تجاه مصر و قد تظافرت عدة أسباب لاختيار الموضوع و دراستة منها:

- ✓ لسبب ذاتي و هو رغبتنا الشخصية و الملحة في دراسة هذا الموضوع دون غيره من المواضيع.
- ✓ الرغبة في تسليط الضوء على بعض الأحداث و الشخصيات، و اكتشاف هذه الحقبة من تاريخ الشام في العهد العثماني.
- ✓ معرفة الطرق و الأساليب التي إعتمدها محمد علي باشا في تحقيق أهدافه.

فطموحات هذا الوالي القوي لضم بلاد الشام في ظل عصيانه للدولة العثمانية إلى جانب تضارب الأراء حول توسعاته، فمنهم من إعتبرها مشروعا نهضويا ساعده في تطوير و إصلاح مصر ، ومنهم من إعتبرها مشروعا توسعي من أجل ضم بلاد الشام لمصالحه الخاصة، لكن لا يختلف إثنان على أن عصر محمد علي كان من أزهى العصور ، دفعنا كل هذا إلى طرح إشكالية رئيسية و هي:"ما هي أهمية ضم بلاد الشام بالنسبة لمحمد علي في ظل طموحاته التوسعية؟.و يندرج تحت هذه الإشكالية أسئلة فرعية وهي:

- ✓ من هو محمد علي باشا؟و ما هي الإنجازات التي قام بها من أجل إصلاح و تجديد مصر؟
- ✓ فيما تتمثل الأسباب الحقيقية التي دفعت بمحمد علي لاحتلال الشام؟
- ✓ هل كانت الظروف مناسبة لمحمد علي حتى يمضي في حملته نحو الشام؟
- ✓ الى أي مدى نجحت سياسة محمد علي طيلة فترة حكمه في بلاد الشام؟ و ما موقف الشعب السوري تجاه الوجود المصري في بلادهم ؟ هل بالرضا والترحيب أم بالرفض والمقاومة ؟
- ✓ وبالتالي ما كان موقف الدولة العثمانية والدول الأوروبية من الإنتصارات التي حققها إبراهيم باشا في حرب الشام الأولى والثانية؟

أما عن الإطار المكاني لهذا الموضوع فيمكن حصره في" بلاد الشام" التي تمثلها سوريا الحالية، و فيما يخص زمن الموضوع فيغطي 34 سنة منذ تولي محمد علي باشا الحكم في مصر سنة 1805م إلى غاية عام 1839م و هو تاريخ حرب الشام الثانية، لكننا قدمنا ملخصا لأهم الأحداث التي جرت بعد ذلك خاصة فيما تعلق بعقد إتفاقية لندن و التحالف الأوروبي ضد محمد علي.

وككل دراسة أكاديمية تعتمد على مناهج بحث إستخدمنا في بحثنا هذا المنهج التاريخي السردي، حيث مكننا هذا المنهج من الوقوف على أهم الأحداث التاريخية خلال الفترة المذكورة من 1805م إلى غاية 1839 م، و المنهج الوصفي التحليلي، فاستخدمنا المنهج الوصفي عند إستعراضنا لحروب الشام الأولى و الثانية و المواجهات بين الطرفين و مراحل هذه الحروب و مجرايتها، و المنهج التحليلي عند مناقشتنا لمختلف الدوافع التي حركت أطراف النزاع و إلى أهداف و مساعي محمد علي للوصول إلى تجسيد حلمه.

و قد إخترنا خطة تتكون من أربعة فصول، فضلا عن مقدمة و خاتمة، فالبنسبة للتمهيد كان بعنوان بلاد الشام و أوضاعها العامة قبل مجيء محمد علي باشا.

أما فيما يخص الفصل الأول جاء تحت عنوان محمد علي و طموحاته التوسعية و الذي تضمن بدوره ثلاثة مباحث حيث تطرقنا في المبحث الأول إلى التعريف بشخصية محمد علي بالإضافة إلى مولده و نشأته، أما المبحث الثاني بعنوان ظروف توليه حكم مصر، و المبحث الثالث عنوانه، نشاط محمد علي التوسعي في السودان، و شبه الجزيرة العربية، و بعدها حربه في اليونان.

و الفصل الثاني الذي ركزنا فيه على موضوع بحثنا فشمل حرب الشام الأولى، وقد اندرجت تحته ثلاثة مباحث، و كان عنوان المبحث الأول أسباب الحملة على بلاد الشام و التي تتمثل في أسباب سياسية و أخرى اقتصادية التي دفعت بالباشا لضمها، و التي رآها مكملة لمصر، أما المبحث الثاني تحدثنا فيه عن سير الحملة و إحتلال الشام، و المبحث الثالث عقد إتفاقية كوتاهية، و نهاية حرب الشام الأولى، هذه الإتفاقية التي نصت على منح ولاية الشام لمحمد علي بعد الإنتصار الكبير الذي حققه في الحرب.

و يليه الفصل الثالث بعنوان حرب الشام الثانية من 1838م إلى غاية 1840م فكان عنوان المبحث الأول هو أسباب تجدد الصراع العثماني المصري على بلاد الشام والذي تحدثنا فيه عن إندلاع حرب أخرى بعد إخمادها في حرب الشام الأولى، أما المبحث الثاني، تناولنا فيه أحداث معركة نصيبين و نتائجها، هذه المعركة التي إنتصر فيها إبراهيم باشا مرة

أخرى و ألحق بالعثمانيين هزيمة نكراء، هذا الإنتصار الذي حرك مخاوف الدول الأوروبية، بعد إنتصارات محمد علي المتتالية دون هزيمة تذكر، و قد كان عنوان المبحث الثالث عقد إتفاقية لندن سنة 1840 م و التي كان من أهم شروطها إنسحاب محمد علي من الشام و إعطاءه حكم مصر وراثيا.

و بالنسبة للفصل الرابع و الأخير و هو الفصل الذي كان بعنوان نهاية إمبراطورية محمد علي باشا و الذي إحتوى بدوره على مبحثين، كان عنوان المبحث الأول، التحالف الأوروبي العثماني ضد محمد علي باشا، و المبحث الثاني نهاية حرب الشام الثانية و وفاة محمد علي باشا الذي كان فخرا للمصريين، و سقوط إمبراطوريتة التي حلم بها منذ زمن بعيد.

إضافة إلى هذه الفصول فقد إحتوى البحث عن خاتمة تضمنت بعض النتائج المتوصل إليها، كذلك مجموعة من الملاحق تمثلت في بعض الصور و الخرائط وقائمة المصادر والمراجع التي إعتمدنا عليها، حيث تنوعت مادتنا العلمية بين مصادر و مراجع تباينت أهميتها، فأما عن أهم المصادر التي ركزنا عليها أكثر نذكر:

- ✓ كتاب عجائب الآثار في التراجم و الأخبار لمؤلفه عبد الرحمن الجبرتي و هو من معاصري تلك الفترة، و الذي ساعدنا في التعريف بشخصية الباشا المصري محمد علي و مولده و نشأته.
- ✓ كتاب المشهد العيان بحوادث سوريا و لبنان لمؤلفه ميخائيل مشاقة و هو من معاصري محمد علي و الذي إعتمدنا عليه في أوضاع الشام العامة قبل دخول محمد علي باشا إلى أراضيها، و بالرغم من أهمية الكتاب لم نجد فيه معلومات أكثر عن حرب الشام الأولى و الثانية.
- ✓ كتاب مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا في سوريا لمؤلف مجهول قام بتحقيقه أحمد غسان سبانو، أفادنا كثيرا هذا الكتاب خاصة في أسباب التواجد المصري في بلاد الشام بالإضافة الى مجموعة من الخرائط التي و جدت فيه.
- ✓ كتاب إلياس الأيوبي بعنوان: محمد علي سيرته و أعماله و أثاره الذي ساعدتنا كثيرا في البحث حيث قدم لنا أعمال الباشا المصري وإنجازاته.

- ✓ أما فيما يخص المراجع نذكر منها:
- ✓ كتاب الجيش المصري و حروب الشام الأولى للدكتور رفعت عبد العزيز الذي إحتوى على العديد من المعلومات الخاصة عن حملة الشام الأولى.
- ✓ كتاب الحكم المصري في بلاد الشام(1831–1841) ل: لطيفة محمد سالم الذي إحتوى بدوره على معلومات قيمة عن الإدارة المصرية في بلاد الشام.
- ✓ كتاب المواجهة المصرية الأوروبية في عهد محمد علي للدكتور محمد عبد الستار البدري الذي تناول أسباب التحالف الأوروبي ضد الباشا المصري، و ضعف الإمبراطورية العثمانية.
- ✓ كتاب حروب محمد علي في الشام و أثرها في شبه الجزيرة العربية، للدكتور عايض بن خزام الروقي: لما تضمنه من سلسلة الأحداث و مختلف المعاهدات المبرمة بين الطرفين، مما ساعدنا على تحديد البنود و بالتالي أهداف الدول الأوروبية إتجاه"مصر".

وقد واجهتنا بعض الصعوبات عند إنجازنا لهذا البحث و التي تتمثل أساسا في:

- ✓ تشعب الموضوع و إتساعه.
- ✓ قلة المصادر المتخصصة لا سيما في الفصل الرابع.
- ✓ قلة المراجع التي تتحدث بصورة مباشرة عن السياسة التي إتبعها محمد علي باشا تجاه الدولة العثمانية و الدول الأوروبية.
- ✓ كثرة التناقضات في المراجع التي إعتمدنا عليها مما زاد الموضوع غموضا و قد تطلب منا ذلك الحرص و اليقظة عند تناولها، مما صعب علينا مهامنا.

و في الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا و لو قليلا لإعطاء صورة واضحة حول الموضوع، و نتقدم بشكرنا الجزيل الى الأساتذة"مدور خميسة"التي وجهتنا و صبرت معنا، و نرجو من المولى عز وجل أن يوفقها و يسدد لها خطاها.

تمهيد

تعريف بلاد الشام و أوضاعها العامة قبل مجيء محمد علي باشا

1- تعريف بلاد الشام:

تعد بلاد الشام واحدة من أقدم البلاد في العالم تاريخيا و طبيعيا، كما أن لها أ همية تاريخية كبيرة، ذلك لأنها كانت نقطة التقاء بين حضارات الشرق و الغرب، فضلا على أنها أعرق بلاد الدنيا الخالدة إلى اليوم، و نظرا لهذه القيمة التاريخية يصعب علينا أن نضع تعريفا شاملا لبلاد الشام أو سوريا، لأن لها تعريفات كثيرة قديمة و حديثة .

وعموما يمكن أن نعرف الشام كما يلي:

أ- مصطلح الشام:

الشأم أو الشأْم: و ذلك بسكون الهمزة، و فيها لغة أخرى و هي الشام بغير همزة، و اشتقاقها مأخوذ من اليد الشؤمي، أي اليسرى سميت به لأنها من مشأمة القبيلة، و سميت أيضا باسم سام إبن نوح لأنه أول من نزل بها و إسمه بالسريانية "شام" (1).

و عرفت الشام قديما باسم القطر العزيز على ما عرفته العرب و هو يتناول عامة الأقاليم الداخلة اليوم في فلسطين و سوريا بحسب الاصطلاح الحديث و سوريا هي إسم أطلق على القطر الشامي، مع تخفيفه من إسم أشوري لغلبة الأشوريين * عليه (2).

و ذكر ياقوت الحموي في كتابه "معجم البلدان" معنى الشام فقال: أن الشام بفتح أوله و سكون همزته و الشأم بفتح همزته، و قيل سميت بذلك لأنها شامة القبيلة (3).

و سوريا هي الشام الأولى و ما حولها من البلاد، و في طرف بلدة حلب مدينة عظيمة بها آثار قديمة يقال لها سورية (4).

---

(1) محمد الصالح المنجد: طوبي لشام، ط1، مجموعة زاد للنشر، فهرسة مكتبة فهد الوطنية، 2012، ص 08.

* الأشوريين: نسبة إلى إلههم أشور، و هي قبائل عربية هاجرت حوالي سنة 3000 سنة ق، م إلى المناطق الشمالية من بلاد الرافدين، للمزيد من المعلومات **أنظر**: شوقي أبو خليل، التاريخ العربي الإسلامي، ط5 ،دار الفكر، دمشق، ص17.

(2) محمد كرد علي: خطط الشام، ج 1، ط 2، مكتبة النوري، دمشق، 1983،ص 14.

(3) ياقوت الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان ، مج1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977، ص 212م.

(4) كمال الدين أبي القاسم: زبدة الحلب من تاريخ حلب، تح: خليل المنصور، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996، ص 10.

و يقول المسعودي: أن سورية هي الشام و الجزيرة، و كان الروم يسمون الصقع الذي سكانه المسلمون من الشام و العراق، و سوريا (1).

فالشام من البلاد التي بارك الله تعالى فيها، و قد دل القرآن الكريم على بركتها، قال الله تعالى " **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** "(2).

و الشام هي الأرض المقدسة التي جعلها الله منزل الأنبياء، و مهبط الوحي (3).

إن المفسرون اتفقوا على أن المقصود بالمسجد الأقصى هو البيت المقدس، و سمي بالأقصى لبعد المسافة ما بين المسجد الحرام في مكة و بيت المقدس (4).

و إسم الشام الأول سورية، و كانت أرض بني إسرائيل (5).

و تعتبر دمشق عاصمة بلاد الشام و ذلك لما فيها من النظارة، و حلب هي من أهم المدن السورية، وتقع في شمال سوريا و تعرف باسم الشهباء (6).

ب- الموقع الجغرافي:

بعد أن قدمنا مصطلح الشام، سنقف الآن عند الموقع الجغرافي لها.

بلاد الشام هي البلاد الواقعة شمال الجزيرة العربية، و قد كان العرب في الجنوب يطلقون إسم الشام على جميع أجزاء المنطقة الشمالية من البلاد العربية و تشمل حدود بلاد الشام، بحسب ما أورده الجغرافيون العرب الأوائل هي تقريبا سوريا الحالية، و لبنان، و فلسطين و الأردن، و بذلك يحدها من الغرب البحر المتوسط، و تقع بلاد الشام في الطرف

---

(1) أبي الحسن علي بن الحسين بن على المسعودي: مروج الذهب و معادن الجوهر، تح: محمد يحي الدين، ج1، ط5، دار الفكر، 1973م، ص 62.

(2) قرآن كريم: سورة الإسراء، الآية 01.

(3) زكريا بن محمد بن محمود القزوي: أثار البلاد و أخبار العباد، دارصادر، بيروت لبنان، ص 73.

(4) الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن، تح، محمود محمد شاكر، ج30 ، دار المعارف، القاهرة، ص 03.

(5) إبن منظور، مختصر تاريخ دمشق لإبن عساكر- فضائل الشام و خطط دمشق- تح: رياض عبد الحميد و آخرون، ج1، ط2، دار الفكر، سوريا، دمشق، 1984م، ص 42.

(6) حسان حلاق: مدن و شعوب، ج2، دار التراب الجامعية، سوفيتر، ص 120.

الغربي من قارة آ سيا على شاطئ البحر المتوسط و هي ما بين خطوط الطولْ 34،30° و37،30° شرقا و دوائر العرض، 31،10° و 43،30° شمالا[1].

و أرض الشام حدودها من الغرب، بحر الروم أي البحر الأبيض المتوسط، و من الشرق آيلة إلى الفرات، و من الفرات إلى حد الروم، و من الشمال إلى بلاد الروم أي تركيا حاليا، و من الجنوب حد مصر [2].

و بلاد الشام عموما خضعت قديما للسومريين و الأكاديين *، و سيطر عليها البابليون و كان ذلك في عهد حمورابي ** و خضعت أيضا للفراعنة في عهد الأسرة الثامنة عشر و سيطر عليها الكلدانيون في عهد نبوخذ نصر.

و قد تكلم ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" عن غزو الفرنجة لبلاد الشام فاحتلوا طرابلس الشام و أنطاكية، و غيرها من المدن الشامية[3].

و يصف محمد كرد علي الموقع الجغرافي للشام فيقول: حد الشام من الغرب، البحر المتوسط، و من الشرق البادية من أيله، إلى الفرات و ينتهي حد الشام شمالا بسفوح جبال طوروس و جنوبا بعريش مصر [4].

إذن الشام يحدها من الشمال الترك و العراق من الشرق، و شرقي الأردن من الجنوب، و فلسطين و لبنان من الغرب[5].

---

(1) يسرى الحنفي: الإرساليات الأجنبية إلى بلاد الشام خلال القرن الثالث عشر هجري و حركة التصدي الإسلامي لها (1785– 1882)، ج1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1999م، ص38.

(2) جمال عبد الهادي: الطريق إلى بيت المقدس، ج1، ط5، دار الوفاء، 1997، ص 05.

* الأكاديين: ظهروا بعد أواسط الألف الثالثة، حيث تسارعت حركة الهجرة، و تدفق المهاجرون من الصحراء على بلاد ما بين النهرين و كان عصر عظمتهم أيام "سرغون" الأول الذي قضى على المملكة السومرية سنة 2400 ق.م. للمزيد أنظر: إسماعيل راجي الفاروقي: أطلس الحضارة الإسلامية، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998، ص 27.

** حمورابي: يعتبر من أشهر ملوك بابل و قد طور ما يعرف بشريعة أو مدونة حمورابي للمزيد أنظر: شوقي أبو خليل، التاريخ العربي الإسلامي، المرجع سابق، ص 30.

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: تح: محمد يوسف الدقاق، مج 10، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ص37.

(4) محمد كرد علي، المصدر السابق، ص114.

(5) أمين محمد سعيد: ملوك المسلمين المعاصرون و دولهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999، ص 333.

و بفضل موقعها الإستراتيجي أصبحت نقطة التقاء بين حضارات الشرق و الغرب، و يعتبر المسجد الأقصى جزء هام من بلاد الشام بمركزه الروحي و التاريخي[1].

كان هذا ما استطعنا تقديمه عن الشام و موقعها الجغرافي، فمهما تكلمنا عن تاريخ هذا البلد العظيم فلن نوفيه حقه، لأن بلاد الشام هي أرض الملاحم و الانتصارات.

2- الأوضاع العامة لبلاد الشام قبل مجيء محمد علي باشا:

بعد أن تكلمنا عن جغرافية بلاد الشام، سنقف الآن عند الأوضاع العامة التي كانت سائدة في تلك المنطقة قبل مجيء "محمد علي" فتناولنا في هذا العنصر الأوضاع السياسية و الاقتصادية.

أ- الأوضاع السياسية:

لقد شهدت سوريا العديد من الثورات و الفتن داخل مدنها و من بين أهم الثورات لدينا ثورة "الغزالي" التي قامت في الشام و سببها هو مساوئ التنظيمات العثمانية، و هذه الثورة نسبت إلى "جان بردي الغزالي" حيث ساعد هذا الأخير في اندلاع الثورة خيانة بعض قواد من الدولة العثمانية، و كان الغزالي يفكر في الاستقلال عن السلطان العثماني منذ زمن طويل، فعين الغزالي أشخاصا يساندونه ضد العثمانيين[2] و انتهز أيضا وفاة السلطان "سليم" ليعلن نفسه حاكما مستقلا[3].

و عليه يمكن اعتبار حركة الغزالي من أول الثورات التي قامت ضد الحكم العثماني، صحيح أنها لم تنجح، لكنها نبهت العثمانيين إلى ضرورة اليقظة.

---

(1) صالح موسى درادكة: دراسات في الجغرافيا التاريخية لبلاد الشام، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 2011، ص30.

(2) رأفت الشيخ: تاريخ العرب الحديث، عين للدراسات و البحوث الإنسانية، جامعة الزقازيق، مصر، 1994، ص53.

(3) محمد التونجي: بلاد الشام إبان العهد العثماني، ط1، دار المعارف، بيروت، لبنان، 2004، ص 57.

و بعد إخماد ثورة الغزالي أعاد السلطان العثماني النظر نحو ولاية دمشق و اختار لها ولاة صارمين، يفرضون الضرائب الكثيرة، حتى لا يقوى الشعب على النهوض و حرصوا دوما على تبديل ولاة الشام خوفا من ثورات أخرى[1].

و قد شهدت ولاية دمشق أيضا العديد من الحروب الداخلية و الاضطرابات مع أمراء الشمال و الجنوب و ذلك لتأمين سلامة الحجاج، و من الثورات التي برزت أيضا في بلاد الشام ثورة "حسن باشا" الذي عين والي حلب، فاستغل منصبه الجديد و أعلن العصيان على السلطان[2].

لكن والي حلب الجديد استطاع أن يفتك بحسن باشا وهكذا انتهت ثورته، وبعد هذه الثورة ظهرت ثورة أخرى وهي ثورة " علي بيك" الكبير الذي قام بالعصيان هو أيضا ولكن هذا الأخير كاد أن يوفق في ثورته لولا أنه اضطر إلى العودة لمصر لإخماد ثورة أحد قواده.[3]

ومن بين الحركات الثورية التي وقعت في بلاد الشام حركة ظاهر العمر * حيث بعد وفاة أبيه عمر الزيداني أمر بأن يزيد نفوذه في المنطقة، وقد اشتد الصراع بين "ظاهر والشهابي" في ذلك لوقت وكان أل العظم حكام الشام آنذاك بضا يقونه من ناحية الشرق.[4]

وقد قضت الدولة العثمانية على حركة الشيخ ظاهر العمر بمساعدة أحمد باشا الجزار وعينت الدولة عثمان باشا لإدارة إيالة الشام في عام 1760م، ثم ضمت إليه القدس [5] وبعد القضاء على "ظاهر" جاء بعده أحمد باشا الجزار الذي أرسل إلى الدولة مكتوبا يخبرها عن تصرفات الشيخ ظاهر، لتقوم هذه الأخيرة بالسيطرة عليه وعلى أمواله وجل ما يعرف عن

---

(1) محمود شاكر: العهد العثماني، ط4، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، 2000، ص 35.

(2) محمد التونجي: المرجع سابق، ص 60.

(3) نفسه، ص 68.

* ظاهر العمر: هو ابن عمر الزيداني عربي الأصل من قبيلة بنو زيدان حيث ولد فيما تروي أقرب المصادر إلى الدقة حوالي 1689، وقد تعلم اللغة العربية والثقافة الإسلامية، للمزيد أنظر: رأفت الشيخ، المرجع السابق، ص 62.

(4) أحمد عزت عبد الكريم، دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1995م، ص 44.

(5) ميخائيل مشاقة، المشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان، منشأة ملحم خليل عبدو، مصر، 1908م، ص 36.

أحمد باشا أنه قدم من "بشناق" إحدى الولايات العثمانية إلى مصر، وقيل أنه دعي بالجزار بعد أن شاعت أعماله البربرية. [1]

وبمجيء أل العظم وتوليهم الحكم هدأت بعض الثورات وضبطوا زمام الأمور وأولوا العلماء رعاية خاصة، وبقيت الثورات في الشام تشرق بين الحين والأخر، وتخمد أحيانا لكن تعتبر ثورة أحمد باشا هي أخطر ثورة عرفتها الشام، فقد كانت له مطامع كثيرة، وكان له دور كبير في ايقاض نار الفتنة في المدن الشامية. [2]

كان هذا هو الوضع السياسي لبلاد الشام قبل دخول محمد علي باشا إلى أراضيه.

ب- الأوضاع الاقتصادية:

أما بالنسبة للأوضاع الاقتصادية فقد انعكست الأوضاع السياسية المضطربة على الاقتصاد آنذاك فتدهورت الزراعة وقل الإنتاج وساءت أحوال الفلاحين.

شكل النظام الإقطاعي الهيكل الأساسي للمجتمع الشامي قبل الوجود المصري وطبق بكل مظاهره عليه، وتحددت العلاقة بين أصحاب الاقطاعات والفلاحين وفقا لارتباط الأسياد بالأقنان فالأسياد لهم الحقوق الكاملة على الأرض ومن عليها وقد عانى الفلاحون من عذاب العقوبات التي لاحقتهم من ضرب وجلد وسجن وأصبحت من مستلزمات حياتهم يجب أن يتقبلوها مادامت هي في شرعية السادة وأمر واجب التنفيذ فتمسكوا بها وفرضوا سلطتهم الاستبدادية وسطوتهم وتحكموا وتملكوا وأوقعوا الظلم ومارسوه بمختلف طرقهم وكما يحلوا لهم ولم يحاسبهم أحد، فما دام الإقطاعي يدفع مطلوب الدولة من الضرائب من مقاطعته فله حرية التصرف فيما استحوذ عليه فعلى سبيل المثال اشترى رأسمالي بيروتي من الحكومة سبعين ميلا مربعا من الأرض تضم عشرين قرية يسكنها أربعة ألاف نسمة وأجرها ليهود ثم باعهم اليهم فكانت النتيجة إخراج الفلاحين من أرضهم. [3]

---

(1) ميخائيل مشاقة، المصدر السابق، ص 54.

(2) سهيل زكار، بلاد الشام في القرن التاسع عشر، التكوين للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 2006، ص 92.

(3) لطيفة محمد سالم: الحكم المصري في الشام 1831-1841، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص 139-140.

أما الصناعة فقد اشتهرت الشام بدقة صناعاتها اليدوية [1] وكان الصناع يبعون مصنوعاتهم في أسواقهم المحلية التي تنتشر في المدن وتكثر في المناسبات وخاصة في موسم الحج والصناعة تتفاعل مع النظام التجاري باستيراد المواد الخام ثم بالتسويق في الداخل والخارج.

وتأثرت الصناعة في العهد المملوكي بتغيير الطرق التجارية فبعد أن كانت الطرق تنتهي بمصر ومنها إلى أوربا أصبحت الطرق تمر برأس الرجاء الصالح في إفريقيا الى أوروبا لذلك شهدت الصناعات الحريرية والكتانية والقطنية والصوفية وصناعة الأواني النحاسية وصناعة الورق وغيرها تأخرا وهذا الأمر طبيعي بسبب توقف التصدير فأخذت الصناعات تعتمد على الأسواق والاستهلاك المحلي. [2]

بينما التجارة كانت مزدهرة أيام المماليك واستمرت حتى نهاية القرن الخامس عشر، وقد قام المماليك بالوساطة التجارية بين الشرق وأوربا وبنو الفنادق والمؤسسات التجارية لتوفير الراحة الكافية للتجار، واحتاجت أوربا إلى مواد الشرق إلى التوابل والحرير واستخدمت ثلاث طرق لنقلها:

-الطريق البري من الصين إلى بيزنطة عبر العراق والشام وكانت تسمى طريق الحرير ويشرف العرب على نقل هذه التجارة.

-الطريق البحري الذي يمر عبر المحيط الهندي فالخليج العربي ثم البصرة وبغداد ودمشق وحلب والبحر المتوسط.

-الطريق البحري عبر المحيط الهندي فالبحر الأحمر فالبحر المتوسط أو السويس فالقاهرة فالإسكندرية.

وهكذا ربح العرب من هذه التجارة أرباحا طائلة، وأصبح الدينار العربي أساسا للتعامل التجاري العالمي في أنحاء العالم[3] إلى غاية قيام الأوربيين (البرتغال باكتشاف رأس الرجاء

---

(1) نفسه، ص 158.

(2) جميل بيضون وآخرون، تاريخ العرب الحديث، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، 1991، ص 14.

(3) محمد عبد الله عودة وإبراهيم ياسين الخطيب: تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1989، ص13.

الصالح والوصول إلى الهند) مما أوقع كارثة بالتجارة العربية في بلاد الشام، ولم يكتفي البرتغاليون بذلك بل أخذوا يهاجمون الموانئ العربية والسفن العربية وقد بدأ هذا واضحا عندما انتصر الأسطول البرتغالي على الأسطول المملوكي في معركة "ديو" سنة 1509. [1]

وهكذا تأخرت التجارة، فعم الفقر وزاد، وأثقلت كواهل الأمة بالمصائب الاقتصادية المتمثلة بضعف أحوال الزراعة والتجارة مما أدى إلى تمرد الشعب على السلطة.

(1) جميل بيضون وأخرون، المرجع السابق، ص 15.

الفصل الأول

محمد علي و طموحاته التوسعية

المبحث الأول: التعريف بشخصيته.

أ- مولده و نشأته:

ولد محمد علي باشا في مدينة قولة * العثمانية التابعة لمقدونيا شمال اليونان [1]. مؤسس الأسرة العلوية الكريمة و خليفة الإسكندر و البطالسة، و التاريخ لا يدري بالتمام في أي يوم و من أي شهر، ولد لأن العادة الحميدة عادة تقييد المواليد في سجلات رسمية مدينة لم يعرفها الشرق إلا قبيل أيامنا هذه بفضل عوامل الأسرة المصرية النبيلة و لكنه يعرف أنه ولد في سنة 1769م لأنه هو نفسه أكد ذلك فيما بعد [2].

و كان اسم والده محمد علي "إبراهيم أغا "، أما إسم والدته فإن التاريخ بفضل العادات الشرقية التي كانت لا تزال تأبى على المرأة أن يعرف إسمها خارج بيتها، و من اليقين أن محمد علي لتلك الأم أكثر مما هو مدين لأبيه بالصفات الكريمة و الأخلاق القويمة و العقلية السامية التي نهضت به من الحضيض إلى ذروة العلاء و الفخار، فقد كانت أمه هذه امرأة حادة الشعور، حمساء الخيال، يدل كل ذلك المنام الذي يقال أنها رأته و هي حامل بإبنها محمد علي، و فسره لها بعض العرافين، فأكدوا لها أنه يبشر بمستقبل عظيم لثمرة بطنها، فلما بلغ ولدها أول صباه كان قادرا على التفهم فإنها ما فتئت تخبره بذلك المنام، لتوجد في فوائده الميل إلى عظائم الأمور فتنميه و تعززه [3].

وبعد مرور الوقت كبرت منزلة محمد في عين شوريجي فرفعه إلى درجة بلوك باشى، و زوجه من قريبة له ذات ثروة واسعة كانت مطلقة و إستولدها خمسة أولاد منهم ثلاثة ذكور سماهم "إبراهيم" و ذلك إكراما و ذكر لأبيه"طوسن" على إسم عمه، "إسماعيل" إكراما لشوريجي المحسن إليه، و بنتان تزوجا فيما بعد، الكبرى بـ "محرم بك" أمير الأسطول

---

* قولة: بلدة قديمة مقدونية، و اسمها عند اليونان "نيا بوليس" أي البلد الجديدة، واقعة على بحر الروم.

(1) منصور عبد الحكيم: الدولة العثمانية من الإمارة إلى الخلافة، ط1، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة ، 2013، ص 426.

(2) إلياس الأيوبي: محمد علي سيرته و أعماله و أثاره، دار الهلال، مصر، 1923،ص 07.

(3) محمد صبري: تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم، ط1، دار الكتب المصرية، القاهرة ، 1926، ص31.

المصري و الذي تسمى بإسمه أحد أحياء الإسكندرية الأكثر إتساعا، و الصغرى بـ "أحمد بك الدفتر دار" فاتح الكرد فان و سنار و المشهور بقسوة لأحد لها [1].

و دل تاريخ حياة محمد علي أن زوجته هذه كانت طالع سعد عليه، على أن زواج محمد علي مكنه من النظر إلى المستقبل بعين لم تعد تثقلها هموم المعيشة المادية، و مكنه أيضا من الإندماج في سلك تجار التبغ برأسمال يضمن النجاح [2].

بقدر ما يمكن أن يضمنه من مال، فإنه بما قدمه له من هناء في الحياة و بسطة في العيش أخذ يطفئ شيئا فشيئا، في فؤاده، لهب النزاع إلى المعالي و جذوة الرغبة في المجد و الفخار، و بات يهدده بخمول الذكر و انطفاءه الاسم مع انطفاء الحياة، فمعظم رجال التاريخ من الفقراء لا من الأغنياء [3].

و لا جدال في أن محمد علي نشأ نشأة متواضعة و تدرج من جندي بسيط إلى أن إرتقى عرش مصر ، فأسس ملكا عريضا و غالب دولا كبارا، و أنشأ دولة عظيمة و حكومة ثابتة وطيدة، و بعث حضارة زاهرة، و أنبت ثقافة كان لها الفضل الكبير في نشر لواء العلم و العرفان في وادي النيل [4].

أما والده "إبراهيم أغا" رئيس حفر الطرق في بلده، فإن هم المعيشة كان يكده كدا، فالموت قصف زهرة كل أولاده و هم في صباهم الأول، و لكنه لم يبقى منهم سوى محمد علي فإنه غمره بكل حنانه و إهتمامه و أحاطه بعناية خاصة [5].

تجلت في المظهر الذي تجلى فيه العناية عند الوالدين الجهلاء أي أنه تركه يشب و نشأت دون أن يعلمه على أن العلم لم يكن في ذلك العهد مرغوبا فيه إلا قليلا لا سيما في الشرق حيث لم يكن في علم سوى ما كان الدين أساسه [6].

---

(1) محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العثمانية، تح : إحسان حقي، ط1، دار النفائس، بيروت، 1981، ص391.

(2) كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: أمين فارس، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، ص 542.

(3) إلياس الأيوبي: المصدر السابق، ص 15.

(4) عبد الرحمن الرافعي: عصر محمد علي، ط5، دار المعارف، القاهرة، 1989، ص 555.

(5) إلياس الأيوبي، المصدر السابق، ص 09.

(6) محمد صبري، المرجع السابق، ص 23.

مات عنه أبوه و هو صغير السن و كذلك أمه فصار يتيم الأبوين و هو في الرابعة عشر من عمره [1].

فبات محمد علي يتيما وحيدا يرى الدنيا حوله كأنها فقر مقفر و لا يدري ما المصير فبات و الله وحده كفيله و نصيره ثم تكفل به جده أولا، و عمه "طوسون" ثانيا فكان له مربيا و عؤولا و لما توفي عمه عطف عليه "شوريجى" الذي كان صديقا لعائلته فضمه إلى بيته و آواه تحت صقفه و رباه مع إبنه ، ثم تعرف به فرنساوي يقال له "المسيوليون" كان على رأسه محل تجاري فإستوقف إنتباهه ذكاء الغلام الفطري النادر و حسن حكمه على الأمور في شؤون قلما يدركها من كان في مثل سنه، فأحبه كثيرا و أخذ يزوده بالنصائح و الإرشادات الثمينة و يبشره بمستقبل سعيد فكان لحب هذا الفرنسي أثر عميق في قلب محمد علي جعله منذ ذلك الحين ميالا إلى الفرنسيين أكثر إلى كل جنسية غربية أخرى [2].

ب-صفاته:

كان محمد علي ربعة القامة،واسع الجبين،مقوس الحاجبين جدا،ذا عينين سوداويين غائصتين في دائرتيهما و أنف ضخم يغلب عليهم الإحمرار و فاه صغير باسم، و كان يتجلى على ملامحه مزيج موزون من الذكاء الدقيق و البشاشة المحببة و كانت ليحته الجميلة تحيط وجهه بهالة من نور [3].

و كذا قوي البنية سليمها، أنيق الحركة، ثابت المشية مزونها، كأن عليها مسحة من الدقة العسكرية، و كثيرا ما كان محمد علي يجمع يديه خلف ظهره، و لم يكن يحب البذخ في الملابس بل كان يبالغ في بساطتها إلى درجة أن كثيرا ممن لم يكونوا يعرفونه شخصيا، كانوا يظنون أنه أحد الأتباع، لا الباشا نفسه العظيم [4].

---

(1) منصور عبد الحكيم، المرجع السابق، ص 426.

(2) محمد فريد بك المحامي ، المصدر السابق ، ص 390.

(3) إلياس الأيوبي، المصدر السابق، ص 21.

(4) أحمد فارس عبد المنعم :السلطة السياسية في مصر و قضية الديمقراطية 1805- 1787م، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997، ص 12.

و الوقار و الجلال يكسوان جميع حركاته و سكناته، و لم يكن يحتاج البتة بخدم و حشم و حرس مسلح، كما أنه يقيم على بابه، إلا حاجبا واحدا و يقضي أكثر أوقاته في ديوانه أعزلا من السلاح يتداول علبة نشوق ثمينة أو سبحة نفيسة.

و لكثرة ما إعترض حياته من الحوادث قليل النوم،مضطربا في الغالب و على الرغم من نومه القليل كان كبير العمل و كثيره، و يحسن الحساب و لو أنه لم يتعلم فنه، و لأنه كان أميا و أقبل يتعلم القراءة على إحدى جواريه و هو في الخامسة و الأربعين من عمره و ذلك بالرغم من إنشغال فكره بالشؤون العامة العديدة و التي كان الكثير منها كبير الخطورة[1].

و من أخص صفاته التي لازمته طوال حكمه حبه للعمل و جلده على إحتمال أعبائه فلم يكن يعرف لنفسه هوادة و كان يهتم بدقائق أعمال الحكومة و يراقبها بنفسه.
و لا ينام من الليل إلا قليلا، و كان يصرف معظم وقته في مراقبة الأعمال و العمال و يكثر من التجول في الأقاليم ليراقب بنفسه تنفيذ التعليمات التي يصدرها [2].

و يصف المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي محمد علي على أنه مخادع كذاب و يحلف بالأيمان الكاذبة، ظالم، ولا عهد له و لا ذمة يضمر السوء و إستخدم العسف و الجور و في نفس الوقت يعد فيه بالعدل، و لا يخفف من عسفه و ظلمة و إستبداه استبداد شيخ[3].
أما صوفيا لين بول تذكر في كتابها "حريم محمد باشا" أن أفضل سمات محمد علي باشا تسامحه الديني في الحالات التي يكون فيها الشرع متعسفا و قاسيا إلى أبعد الحدود، حيث تذكر حالة حدثت منذ فترة طويلة ، حال فيها دون تنفيذ حكم الشرع في أشخاص كانوا مسلمين منذ

---

(1) فراس البيطار: الموسوعة السياسية و العسكرية، ج3، دار أسامة ،عمان، 2003، ص 973.

(2) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص 561.

(3) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي: عجائب الآثار في التراجم و الأخبار، تح: عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، ج4، دار الكتب المصرية، القاهرة 1997، ص 18.

مولدهم ثم إعتقدوا المسيحية و في حالات أخرى تخص المسائل الدينية، حيث تميز فيها محمد علي باشا بإعتداله [1].

و كان بطبعه ميالا إلى الأثرة و العنف و لكنه كان يدرى كيف يسير بمنتهى الفطنة و المهارة فيما يرسمه لنفسه من الشؤون، و بالرغم من ميله إلى الغضب بسرعة، وكثيرا ما أفرط في التهاون عن المعاقبة إلى حد عدم المبالاة بها بتاتا، و كثيرا ما نسى سيئات خطيرة إرتكبت ضده، كان مسلما مخلصا في دينه يقوم بأداء فرائضه بكل نشاط، و لكنه لم يكن بالمغرق في عبادته بل كان واسع الصدر في جميع الأديان و لهذا السبب عينه كانت بعيدة عن الإعتقاد بالخرافات، و كان أبا محبا لأولاده كبير الشفقة و التعلق بهم [2].

ج- أعماله و إنجازاته:

لما زالت الصعاب من سبيله، و شعر أنه أصبح حرا في حركاته، ووضع نصب عينه العمل على الاستفادة من كل سانحة لتحسين مركزه و تعزيزه، و إنشاء دولة من ضفاف النيل تعيد إلى مصر مجدها التالد و تجلسها مكرمة في مصاف الأمم الحية و أدرك أنه لن ينال الغرض المقصود إلا إذا جمع على ولائه عواطف العالم الإسلامي و إلا إذا نقل مصر من البيئة التي بنت القرون المنصرمة جدرانها حولها إلى بيئة مصطبغة القاعدة و الجدران بصبغة المدينة الغربية متشربة النفس إصطباغا و تشربا متفقين مع روح الشرق فلجمع ولاء العالم الإسلامي من حوله، هب بإخلاص إلى قتال الوهابين ثم هب بإخلاص كذلك لنجدة الدولة العثمانية على إخماد ثورة اليونان [3].

و لنقل مصر إلى البيئة المرغوب فيها قلب كيانها رأسا على عقب و إخراجها من عناء شديد إلى الوجود من خلال:

---

(1) صوفيا لين بول: حريم محمد علي باشا، رسائل من القاهرة (1842- 1846)، ترجمة: عزة كرارة، ط 1، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، 1999، ص 264.

(2) إلياس الأيوبي، المصدر السابق، ص 146.

(3) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص 561.

أولا: بأن أقلع عن طريقة الحكم التي سبقت عهده و إقتدى بما وضعه الغربيون لاسيما نابليون الأول من نظامات حكم و إدارة فإحتاط بديوان مؤلف من نخبة الرجال المحنكين دعاه "ديوان الخدوي" و أنشأ وزارتين إحداهما للحربية و الأخرى للداخلية لتدبير شؤون البلاد [1].

ثانيا: أنشأ من أبناء البلد جيشا زاهرا مدربا على الطريقة الغربية [2] ثم إتجهت أنظار الوالي محمد علي باشا إلى تأليف الجيش النظامي، بالرغم من الصعاب في الشكل الذي أنشأه محمد علي و جيشه عليه مزايا و منافع مادية و أدبية و لاسيما في قطر تتعدد فيه الأجناس و الملل و النحل [3].

أما فيما يخص ملابس الجنود حيث ترتدي الجنود المصرية كساء بسيط مريح للجسم و حافظ للزي الأهلي يتكون من طربوش أحمر (إذا أن القبعة الأوربية أو ما يكون شبيها بها إذا استعملت غطاء للرأس تحدث من سوء الظن يولى الأمر ما هو في غنى عنه).
ومعاطف قصيرة لمشابك فوق الصدور سروال إلى الركبة و حزام عريض شد به الوسط و حذاء تركي أحمر و كسوة الحرس، و جنود المدفعية و الفرسان في الشتاء لونها أزرق و كسوة المشاة أحمر، حيث أراد أن يجعل لعسكر مصر نظاما لهيئة عسكر الإفرنج[4].

ثالثا: تغييره لبرامج التعليم و طرقه و فتح ميدانا جديدا للعلم فقد كان التعليم حتى قيام دولته قاصرا على تلقين أصول الدين و أصول اللغة العربية و لم يكن في البلاد سوى كتاتيب يعلم فيها القرآن الشريف [5]، ففتح مدارس ابتدائية و الثانوية و عالية، فالمدارس الإبتدائية

---

(1) محمد عبد الجواد الأصمعي: قلعة محمد علي لا قلعة نابليون، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1342- 1924م، ص90.

(2) عمر طوسون: الجيش المصري البري و البحري، صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي، ط 2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1416- 1996م، ص 64.

(3) خالد فهمي:كل رجال باشا محمد علي و جيشه و بناء مصر الحديثة، تر: شريف يونس، دار الشروق، الرياض، 2011، ص 137.

(4) عمر طوسون، المصدر السابق، ص 82.

(5) إلياس الأيوبي، المصدر السابق، ص 120.

منها: المدارس المحلية الكبرى، والمدارس الثانوية و العالية الخصوصية منها : قصر العيني، مدرسة اللغات و مدرسة المعادن [1].

و أضاف إلى تجديد المدارس إقامة المعامل و المصانع [2]، في طول البلاد و عرضها ليتمكن من ترويج المصنوعات على الطراز الغربي لإعتقاد محمد علي أن تغيير معالم البيئة المادية يساعد كثيرا على تغيير معالمها المعنوية ، ولتتمكن البلاد من الاستغناء جل الاستطاعة عن الواردات الأجنبية [3].

المبحث الثاني: ظروف توليه الحكم بمصر.

عندما نلقي نظرة جادة على الأحداث التاريخية التي صاحبت تولي محمد علي باشا حكم مصر و الأحداث التي أعقبت ذلك يجدر بنا أن نتوقف برهة عند عنصر هام و

---

(1) محمد صبري، المرجع السابق، ص 24.

(2) إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار في دول البحار، مجلد1، بولاق، القاهرة، 1316هـ- 1899م، ص 109.

(3) إلياس الأيوبي، المصدر السابق، ص 123.

المتمثل في علاقة محمد علي باشا والي مصر، بالسلطان العثماني محمود الثاني و كذلك ظروف توليه حكم مصر.

فكما هو معروف فإن محمد علي باشا الذي أرسله العثمانيون على رأس فرقة من الروملي إلى مصر[1] لإخراج الفرنسيين منها، فقد استطاع أن يكسب ثقة العلماء في مصر، و سعي في القضاء على منافسيه على ولاية مصر بطرق ملتوية و ماكرة و خبيثة، حتى أصبح واليا على مصر ابتداءا من 20 ربيع الأول سنة 1220 الموافق لـ 18 يونيو سنة 1805[2].

و على الرغم من أن محمد علي قد أبدى حماسا شديدا لكي يصبح خادما مطيعا للسلطان محمود الثاني *[3] و أبدى في سبيل ذلك كثيرا من عبارات التذلل و الخضوع للسلطان و دولته[4].

إلا أن السلطان كان على وشك أن يدرك أبعاد هذه العبارات، مظهرا بذلك تخوفه من هذا الوالي الجديد فأمر بنقله عن ولاية مصر إلا أن تدخل العلماء مرة أخرى قد جعل

---

(1) أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية و معجم الأسر الحاكمة، دار المعارف، مصر، 1389هـ-1979م، ص 165.

(2) سليمان بن محمد الغنام: قراءة جديدة لسياسة علي باشا التوسيعية (1811-1840م) في الجزيرة العربية و السودان و اليونان و سوريا، ط1، دار البلد، جدة، 1400هـ-1980م، ص 17.

* السلطان محمود الثاني: تولى الحكم و عمره أربع و عشرون سنة، استفاد من إقامته الجبرية مع سليم الثالث حيث أطلعه الأخير على خطط الإصلاح، إلا أن السلطان الجديد أرغم في البداية على الانحناء أمام رغبات الانكشارية، فأمر بإلغاء كل الإصلاحات حتى يرضيهم إلا أن تحين الفرصة لتطبيق الإصلاح،و كان محمود يتذرع بالصبر انتظارا لساعة الخلاص من الانكشارية، و أن عهده قد امتلأ بالحروب و التطورات الهامة التي استنزفت كامل جهوده و كافة إمكانياته. أنظر: حضرة عزتلو يوسف بك أحاف: تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم إلى الآن، ط 1، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص 116.

(3) جاد طه: سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، دار الفكر العربي، القاهرة، 1969-1970، ص 47.

(4) علي محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 1429هـ/2009م، ص 410.

السلطان يصدر فرمانا آخر بتثبيته على ولاية مصر في 24 شعبان 1221هـ الموافق لـ 06 نوفمبر 1806[1].

و من هنا بدأ محمد علي في تدعيم مركزه الشخصي و تثبيت الولاية في شخصه و بالتالي في سلالته[2]. فبدأ ينافس رجال الدولة و سلطانهم من جانب و إنشاء قوة حربية و بحرية من جانب آخر ثم أخذ يبذل جل همه لاستمالة السلطان و مراخاته و تنفيذ توجيهاته، مستخدما في ذلك الدهاء السياسي و إضفاء الشرعية العثمانية على ولايته[3].

فعلى الرغم من خضوع علي باشا للسلطان العثماني و استعداده لتنفيذ أوامره و توجيهاته إلا أنه كان مدركا لأهدافه و خططه التوسيعية بدليل أنه أثناء تكليفه بحملاته العسكرية

الموجهة للدولة السعودية الأولى كان ينطلق من أهدافه هو لا من أهداف الدولة العثمانية[4].

و بذلك لم يكن من السهل على شاب قليل الخبرة و قليل المعرفة بمصر و طبيعتها أن يصل إلى ما وصل إليه محمد علي مهما كانت قدرته و ذكاؤه إلا إذا كان يستند إلى قوة تخطط له و تعينه على تحقيق أهدافه و تسخره في نفس الوقت لتحقيق أهدافها و تشير

الكثير من الأدلة إلى أن هذه القوة التي – لم تكن ظاهرة – هي الحركة الماسونية * التي انبعثت في مصر سنة 1798 على يد رجال الحملة الفرنسية حيث مهد لها نابليون [1] و قد

(1) محمد فريد بك المحامي: المصدر السابق، ص 391.

(2) عيسى الحسن: الدولة العثمانية عوامل البناء و أسباب الانهيار، ط 1، دار الأهلية للنشر و التوزيع، لبنان، بيروت، 2009، ص 257.

(3) عبد العزيز نوار: مصر و الخليج العربي في القرن 19، مجلة الهلال المصرية، العدد 11، السنة 1972، ص161.

(4) عبد العزيز نوار، تاريخ العرب المعاصر، مصر و العراق، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1973، ص 109.

* الماسونية: ما هي إلا يهودية الأصل و المنبت، و ما دامت كذلك فهي تجيد المكر و الخداع و تتقن أساليب التشكيك في العقائد، و النيل من الأنبياء و الرسل عليهم السلام. و تشيع الإلحاد و الكفر في ربوع الأرض، و تدعو إلى الإباحية و الفساد و الرجس و اليهود تاريخهم معروف في تحريف الكتب السماوية و قتل الأنبياء و إطفاء كل باقة من نور... و لم

شهد عصر محمد علي تأسيس أكثر من محفل ماسوني في مصر فقد أنشأ الماسون الإيطاليون محفلا بالإسكندرية سنة 1830م على الطريقة الاسكتلندية و غيرها كثير[2].

و هكذا انتشرت المحافل الماسونية في مصر و الشام و تركيا، و كانت تعمل ليلا و نهارا من أجل تفتيت و إضعاف الدولة العثمانية بمعاولها الفاسدة، التي لا تكل و لا تمل و استطاعت المحافل الماسونية الفرنسية في مصر أن تجعل فرنسا تحتضن محمد علي، يقول الأستاذ محمد قطب "و احتضنته احتضانا كاملا لينفذ لها كل مخططاتها، فأنشأت له جيشا مدربا على أحدث الأساليب و مجهزا بأحدث الأسلحة المتاحة يومئذ، بإشراف سليمان باشا الفرنساوي"[3].

و كانت المصالح الفرنسية ترى دعم محمد علي لتحقيق أطماعها المستقبلية في حفظ و تقوية محافلها الماسونية و إضعاف الدولة العثمانية، و زرع خنجرها المسموم في قلب هذه الدولة، و لذلك أنشأت لمحمد علي أسطولا بحريا متقدما و متطورا و ترسانة بحرية في دمياط و القناطر الخيرية لتنظيم علمية الري في مصر[4].

و هنا يمكننا أن نقول أن محمد علي قام بدور المشبوه في نقل مصر من انتمائها الإسلامي الشامل إلى شيء آخر يؤدي بها في النهاية إلى الخروج عن شريعة الله و لقد كان محمد علي ثعلبا ماكرا همه نفسه و أولاده من بعده و لذلك قام بأعمال شنيعة، و أفعال قبيحة في إضعاف الأمة، و القضاء على شوكتها و تنفيذ مخططات فرنسا و بريطانيا، و حرص على أن يحمل صورته و يقفوا أثارهم في التحديث بل و يفكر كما قال في نفسه "بعقل إفرنجي و هو يلبس القبعة العثمانية"[5].

يعد اليوم خافيا على أحد أن الماسونية منظمة يهودية يراد بها تخريب العالم اجتماعيا و أخلاقيا، أنظر: علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 413.

(1) عيسى الحسن، المرجع السابق، ص 258.

(2) نفسه، ص 259.

(3) محمد قطب: واقعنا المعاصر، ط2، مؤسسة المدينة المنورة، 1408هـ/1988م، ص 204.

(4) عيسى الحسن، المرجع السابق، ص 260.

(5) علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 416.

قام محمد علي نيابة عن فرنسا و بريطانيا و روسيا و النمسا و غيرها من الدول الأوروبية بتوجيه ضربات موجعة للاتجاه الإسلامي في كل من مصر و الجزيرة العربية، و الشام و الخلافة العثمانية مما كان له الأثر في تهيئة العالم الإسلامي للأطماع الغربية[1].

فبعد أن نجح محمد علي في توطيد نفسه في الحكم و أحاط نفسه ببطانة و مساعدين من النصارى و الأروام و الأرمن و كتبة من الأقباط و اليهود، استجلب لنفسه مماليك جعلهم حكاما للأقاليم و كان في كل ذلك مستقرا لجموع المسلمين المصريين و معبرا عن عدم الإهتمام و الإكتراث بهم و بخاصة أن هؤلاء المساعدين قد أعانوه على سياسته الاستبدادية بين الفلاحين، وصف الجبرتي ذلك بقوله "فتح بابه للنصارى من الأورام و الأرمن فترأسوا بذلك و علت أسافلهم كما أنه كان يحب السيطرة و التسلط و لا يأنس لمن يعارضه[2].

و لقد كان الجبرتى معاصرا لسياسة الظلم التي مارسها محمد علي على الشعب المسلم في مصر، الذي امتص حقوقه و خيراته و فتح للتجار الأوربيين الباب على مصراعي ه لدخول مصر و الهيمنة على اقتصادها، و ارتبطت مصر بأوربا ارتباطا حضاريا و تجاريا، و أصبح اعتماد طبقة التجار الناشئة في مصر على الأسواق الأوروبية من الناحية الاقتصادية، و بالتالي السياسة إلى جانب تمكين دعاة الثقافة الأوروبية من السيطرة على الحياة الفكرية بعد أن شل دعاة الاتجاه الإسلامي[3].

وكذلك أوقف مناهج التعليم القائمة على الدين تنفيذا لسياسة نابليون الماسونية و هو أمر أكده المؤرخ الانجليزي " أرنولد تويمبي" في قوله:<< كان محمد علي ديكتاتورا أمكنه تحويل الآراء النابليونية إلى حقائق فعالة في مصر >>[4].

و بذلك حقق الاستعمار الأوروبي هدفه في الاستفادة من المنشآت و الإصلاحات المادية التي قام بها دميتهم محمد علي، أما شعب مصر المسلم، فقد سيطر عليه اليأس و دفع

---

(1) نفسه، ص417.

(2) عيسى الحسن، المرجع السابق، ص 263.

(3) زكريا سليمان بيومي: قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، ط1، عالم المعرفة، 1411هـ/1991م، ص 189.

(4) زكريا سليمان بيومي، المرجع السابق، ص 190.

ثمنا باهظا يفوق كل إصلاح و هو تحطيم هويته الحضارية التي صقلها الإسلام و التي ميزت دوره خلال العصور الإسلامية[1].

و بذلك فتح باب الدعوة إلى الوطنية و القومية و مارس سياسة التضييق على دعاة الفكر الإسلامي من العلماء و المشايخ فكان هذا الاتجاه مسايرا لمساعيه الرامية إلى الاستقلال بمصر و بالتالي ابتعادها عن الارتباط بدولة الخلافة الإسلامية، و قد لقى في اتجاهه هذا عونا من المحافل الماسونية حيث يعتبر هذا الاتجاه من صلب أهدافها[2].

و هكذا فبعد أربع سنوات من انتهاء الحملة الفرنسية كان عليه أن يستعيد السلطة العثمانية التي هددها الأعيان المحليون – المماليك – المدعومون من الانجليز و قد انتصر في نهاية الأمر على خصومه في مارس 1811 و في أعقاب ذلك انتصر على الوهابيين في شبه الجزيرة العربية و انتزع منهم المدينتين المقدستين في عام 1813 على الوهابيين لن يهزموا بشكل حاسم إلا خلال حملة أخرى بين عامي 1818 و 1820[3].

و في مصر نفسها يستميل محمد علي العلماء الذين كانوا ضحايا المماليك، و إذ يدرك و مصاعب حكومة اسطنبول الخاضعة لكثير من التقلبات فإنه يقرر بسرعة بالغة تحويل مصر من آن واحد إلى نموذج للتنظيم الحديث و قلعة لسلطته الخاصة دون أن ينبذ مع ذلك السيادة العثمانية و مستفيدا من خبرات الضباط الصف الفرنسيين الذين اختاروا البقاء في مصر بعد عام 1805م يجتهد في إنشاء جيش حديث الطراز إلا أنه لما كان الجنود العثمانيون قد أبدوا ما هو أكثر من مجرد التحفظ على اتباع هذا المفهوم العسكري الجديد فإن محمد علي يبحث عن طريق آخر: فإنشاء فيلق جديد من نوع النظام الجديد (النظامية) من مجندين قادمين من القوقاز أو من إفريقيا السوداء سرعان ما يكتشف أنه غير مناسب، لأن ذلك يعنى إحياء النظام المملوكي القديم و يستلهم آنذاك النماذج الفرنسية و الانجليزية

---

(1) علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 418.

(2) زكريا سليمان بيومي، المرجع السابق، ص 193.

(3) روبيرمانتران: تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السباعي، ج 2، دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع، القاهرة، 1992، ص 22.

فإنه ينظم جيشا "قوميا" مؤلفا من فلاحين مصريين و تسليحهم وفق المبادئ الغربية 1823 و الحال أن هذا الجيش سوف يبرز تفوقه في كريت ثم في اليونان تحت قيادة إبراهيم باشا ابن محمد علي و فيما بعد في سوريا بل و في الأناضول[1]. و على أية حال فقد << كبر محمد علي و ابنه إبراهيم بطريقة هائلة جعلت السلطان محمود الثاني شغوفا للتقليل من شأنهما، و الإجهاز عليهما >>[2].

كما اجتهد محمد علي في تحديث الإدارة و تنمية استغلال موارد مصر و إدخال محاصيل و صناعات جديدة، و فتح المجتمع على العالم الخارجي و إرسال طلاب إلى أوروبا و إنشاء نظام تعليم جديد و تسهيل ظهور صحافة "قومية".

و خلال السنوات الخمس و العشرين الأولى لحكمه سوف ينجز محمد علي إصلاحات أكثر بكثير من الإصلاحات التي أنجزها السلطان و سوف يدفع مصر إلى طريق التحديث و في عام 1820م لم يكن قد صاغ بعد كل مطالبه الإقليمية و السياسية و سوف يكون العقد التالي شاهدا على أطماعه و انتصاراته و إخفاقاته[3].

عموما يمكن القول أن محمد علي باشا سينجح فيما بعد في جعل مصر ملكية وراثية متميزة عن بقية الإمبراطورية العثمانية و إن لم تكن منفصلة عنها تماما و سوف يحذو محمود الثاني حذوه في قطاعات مختلفة و هكذا فإن نوعا من التنافس في الاتجاه إلى التحديث سوف ينشأ بين الرجلين اللذين يبدوان الأكثر تمثيلا لتطور العالم الشرقي.

---

(1) روبيرمانتران، المرجع السابق، ص 33.

(2) H. Tempereley and L. M. Penson: Foundations of British Forgeign Policy, p. p 122-123.

(3) روبير مانتران، المرجع السابق، ص 34.

المبحث الثالث: نشاطه التوسعي.

أ- نشاط محمد علي باشا في السودان:

بعد وصول "محمد علي" إلى سدة الحكم و تثبيت أقدامه في مصر أصبح يحلم بتوسيع رقعة أراضيه المصرية[1].

و عندما قام بالقضاء على المماليك في مذبحة القلعة * التي دبرها للتخلص منهم تماما و استئصال شوكتهم يوم 11 مارس 1811م، وجه أنظاره شرقا نحو الأراضي

---

(1) جمال بدوي: محمد علي وأولاده ، مكتبة الأسرة، 1999 ،ص 63.

الحجازية، و غربا نحو ليبيا و جنوبا نحو السودان حتى منابع النيل، كما زاد في طموحه التوسعي تهديد الخلافة العثمانية في عقر دارها[1].

فاستغل محمد علي المنازعات في الجيش العثماني لبسط نفوذه و يظهر بثوب القائد المخلص للمصريين من خلال التقرب من الزعماء المصريين الذين كانوا نواة ديوان نابليون[2].

و قد اشتهر السودان بين حكام مصر منذ أقدم العصور بأن أراضيه غنية بالذهب و خاصة مناجم سنار التي طبقت شهرتها الأفاق و كثرت فيها الأقاويل و كان محمد علي أكثر الناس حاجة للذهب حتى ينفقه على جيشه[3].

حيث كانت رغبة محمد علي باشا أن يؤمن شمال السودان ليتخذها ميدان أمن للتقهقر إليه متى استدعى الأمر ذلك، في حال مهاجمتها من إحدى الدول الاستعمارية و خاصة فرنسا و انجلترا و كان المماليك قد اتخذوا من شمال السودان موطنا لهم [4] و عسكروا بالقرب من "مملكة الشايقية" *.

كذلك حماية و استغلال مياه النيل حيث كانت مصر منذ أقدم العصور تعتمد بأكملها على مياه النيل، لذلك أراد محمد علي أن يكون كل وادي في هذا النهر تحت تصرفه و أن

---

* مذبحة القلعة: هي مذبحة دبرها محمد علي باشا و ذلك للقضاء على أمراء المماليك و دعوتهم للاحتفال بتنصيب ابنه طوسون قائدا للجيش المرسل إلى الحجاز و حضر الجميع إلى القلعة و خرج موكب الجنود و أعيان الدولة و منهم المماليك و عند انتهاء خروج الجنود أمروا بغلق باب القلعة و صده مما سهل عمليه إبادتهم جميعا بالرصاص أنظر: محمد حسام الدين إسماعيل: مدينة القاهرة من ولاية محمد علي إلى إسماعيل، 1808-1879م، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 1997، ص 66.

(1) أمل عجيل: قصة و تاريخ الحضارات العربية، موسوعات تاريخية و جغرافية حضارية و أدبية، ليبيا، السودان، و المغرب، ج11، دار بيروت، لبنان، 1999، ص 69.

(2) عبد الرحمن الجبرتي، المصدر السابق، ص 32.

(3) ضرار صالح ضرار: تاريخ السودان الحديث، مكتبة الحياة بيروت، لبنان، 1965، ص 23.

(4) Hubert Deschaps : L'afrique Noire Précoloniale, presses universitaires de France, Paris, France, 1962, p 82.

* مملكة الشايقية: قامت على أنقاض مملكة نبتة القديمة امتدت من الشلال الرابع إلى أبيدوم و مركزها مورة للمزيد أنظر: نعوم شقير: جغرافية و تاريخ السودان، ط1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1967، ص 25.

يضع يده على السودان الذي يشكل قسما كبيرا من وادي النيل و كان يرمي إلى توسيع تجارته و استغلال تجارة السودان[1].

حلم تأسيس إمبراطورية واسعة الأرجاء تمتد من الجزيرة العربية إلى المحيط الهندي و تشمل السودان و شواطئ البحر الأحمر و حوض النيل و البحر المتوسط، هو حلم لطالما راود محمد علي منذ أن وطئت أقدامه مصر [2] و كانت حملته على السودان ضمن هذا الإطار بحجة أنه قد صار واجبا عليه أن ينشئ حكومة مرهوبة الجانب تصون السودان من الغزو الأجنبي[3] و إلى جانب هذه الأسباب يضاف سبب آخر و هو استنجاد بعض الملوك السودانيين بمحمد علي و منهم استنجاد أحد ملوك سلطنة الفونج بعد الفوضى التي صارت إليها مملكة سنار بظهور الشقاق بين ملوكهم وأكبر سبب رئيسي لغزو السودان هو اصطياد أكبر عدد ممكن من سكانه و إرسالهم إلى مصر لتكوين هيئة الجند في الجيش[4].

ب- نشاط محمد علي في شبه الجزيرة العربية :

بعد الحديث عن نشاط محمد علي في السودان، الآن سنتكلم عن نشاطه في شبه الجزيرة العربية، حيث استعان السلطان محمود الثاني بوالي مصر محمد علي لمساعدته في القضاء على حركة الشيخ "محمد بن عبد الوهاب" (1703-1792م) المتحالف مع أمراء الدرعية من أل سعود التي تمكنت من ضم الأحساء والبحرين والتي كانت تهدد البصرة وبغداد وتمكنت من إقامة الدولة السعودية الأولى في (1745-1818م) مع العلم أن القوات العثمانية قد عجزت عن قمعها. [5]

---

(1) صالح صالح ضرار: المصدر السابق، ص 24.

(2) IDEM, p83.

(3) محمد فؤاد شكري: مصر و السودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسة في القرن التاسع عشر ميلادي 1820-1988، ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1963، ص 12.

(4) عبد الرحمن الرافعي: المصدر السابق، ص 30.

(5) أحمد شلبي، التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج5، القاهرة، 1967، ص 280.

حيث انتهز محمد علي فرصة إعداد جيوشه للسفر إلى الجزيرة العربية ودعا الأعيان والوجهاء ومن بينهم المماليك لتوديع هذا الجيش، فأستفحل أمر الحركة الوهابية في مطلع القرن التاسع عشر وكانت هذه الحركة تقوم على تجديد الإسلام وتخليصه بما لحق به من الأوهام والبدع، كما كانت رد فعل ، وعودة إلى الدين الإسلامي النقي وذلك بالرجوع إلى القرآن والسنة والسلف الصالح. (1)

لعل هذه الحركة كانت تهدف إلى طرد العثمانيين من البلاد العربية وتوحيد أقطارها.

لقد أثارت سياسة محمد علي العسكرية السلطان العثماني فخشي من وجود الجيش المصري ففكر في استخدامه لضرب القوى الثورية التي نشأت في نجد ألا وهي "الحركة الوهابية" * لكن محمد علي خشي من التهرب من هذه المهمة. (2)

كانت الحركة الوهابية تشكل خطرا بالنسبة للدولة العثمانية لاسيما بعد تحالف أل سعود مع الشيخ "محمد عبد الوهاب" * وخروج الحرمين الشريفين من دائرة نفوذ الدولة العثمانية التي كانت تسيطر على العالم الإسلامي في ذلك الوقت.

وبالفعل ففي عام 1811م أعد محمد علي باشا حملة عسكرية كبيرة إلى الحجاز بقيادة ابنه طوسون باشا فدخلت ينبع وبدر، إلا أنها انهزمت في الصفراء، حيث طلب طوسون

---

(1) نفسه، ص 281.

* الحركة الوهابية: هي أول حركة دينية إصلاحية مرت بالبلاد العربية تحت الحكم العثماني وظهرت في إقليم نجد أنظر: حلمي محروس إسماعيل، تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، مؤسسة شباب الجامعة، إسكندرية، 1997، ص 81.

(2) أحمد شلبي، المرجع السابق، 282.

* محمد بن عبد الوهاب: ينحدر من أصول عربية تنتهي به إلى مصر، ولد ببلدة العينية شمال غرب الرياض سنة 1115 هـ /1703، نشأ بها وكان حاد الذهن ذو أخلاق حميدة للمزيد أنظر: أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص 14.

إمدادات من القاهرة وأخذ يستميل ويكسب القبائل من ينبع والمدينة المنورة بالمال والهدايا ونجح في سياسته هذه لكن الوهابيين انتصروا في ثرية والحناكية. [1]

حيث ذهب محمد علي بنفسه إلى نجدة المصريين في جزيرة العرب ولمتابعة القتال والقضاء على الوهابين فغادر مصر سنة 26 من شهر أب عام 1812 على رأس جيش أخر ونزل في جدة ثم غادرها إلى مكة وهاجم معاقل الوهابيين[2]

ولقد كان من الطبيعي بعد الهزائم المتكررة ومناوشات الوهابيين المستمرة لوحدات الجيش المصري أن يطلب محمد علي باشا الإمدادات من مصر، وعندما وصلته هذه الإمدادات كان يتأهب للزحف في هذه الجبال توفي خصمه سعود بن عبد العزيز عام 1814، ويعتبر ذلك فوزا عظيما لمحمد علي. [3]

وقد انتصر محمد علي على الوهابين في كلاخ في 10يناير سنة 1815 وبعد ذلك توجه إلى قبائل عسير جنوبا لتأديبها، وبالتالي استطاع محمد علي إخضاع القسم الجنوبي لإقليم الحجاز ثم عاد إلى مصر، إثر وصول نبأ تمرد المماليك بقيادة لطفي باشا الذي أراد الإطاحة بحكم محمد علي. [4]

أما ابنه طوسون الذي اتجه شمالا لإخضاع البلدان النجدية فقد أدرك خطورة التوغل داخل إقليم نجد حيث فكر في عقد هدنة مع الأمير السعودي عبد الله بن مسعود [5] و قد اتفقا على:

- ✓ احتلال القوات المصرية الدرعية.

---

(1) إسماعيل أحمد ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ط 2، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998، ص120.

(2) نفسه، ص 121.

(3) نفسه، ص 122.

(4) أسيدو: تاريخ العرب العام، حضارتهم مدارسهم الفلسفية والعلمية والأدبية، تر: عبد الله علي الشيخ، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2002، ص446.

(5) خليل أحمد الرجي: تاريخ الوزير محمد علي باشا، تح: حمزة عبد العزيز بدر وحسام إسماعيل، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 1991، ص 139.

- ✓ أن يضع الأمير عبد الله نفسه تحت تصرف طوسون باشا، فيسافر الى الجهة التي يريد أن يسافر إليها.
- ✓ تأمين طرق الحج وأن يكون خاضعا لحكم المدينة من قبل محمد علي.
- ✓ أن يدفع السعوديون كل ما صرف من بداية الحرب في تجهيز الجيش المصري.[1]

ولكن في الحقيقة أن هذه الشروط لم ترض عبد الله بن مسعود، لذلك قام بإرسال وفد إلى مصر للتفاوض مع محمد علي مباشرة في شوال 1231هـ/1815م.

لكن محمد علي لم يقبل بالاتفاق، كما اشترط أن يتم أسر الأمير السعودي ومن معه، وفي هذه الأثناء عاد أحمد طوسون إلى مصر بسب ظروف صحية.[2]

وبعد وفاته تسلم قيادة الحملة أخوه إبراهيم الأكبر إبراهيم باشا، الذي واصل فتوحاته وخاضت قواته العديد من المعارك ولكن في الأخير استطاع أن يستولي على الكثير من المناطق النجدية.[3]

ويؤكد تاريخ الدرعية أن هذه الحرب في حقيقة الأمر لم تكن إلا صراعا بين قوتين ترمي كل منهما إلى هدف واحد وهو إعادة الدولة الإسلامية.

ج- نشاط محمد علي باشا في اليونان:

فبعد الحديث عن توسع محمد علي في شبه الجزيرة العربية سنقف الآن عند حربه في اليونان، ذلك أن أوروبا كانت حريصة جدا على هدم الدولة العثمانية بكل الوسائل وبطبيعة الحال ما كان على السلطان محمود الثاني إلا أن يطلب النجدة من والي مصر محمد علي لإخماد ثورة اليونان.

في ذلك الوقت ثارت اليونان في الشمال، بعد أن انفصلت شعوب البلقان أو بعبارة أخرى كادت تنفصل من جسم الدولة، حيث امتدت الثورة جنوبا إلى شبه جزيرة المورة في

---

(1) علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 114.
(2) خليل أحمد الرجي، المرجع السابق، ص 140.
(3) نفسه، ص 141.

سنة 1822م، فأرسل السلطان إليها جيش بقيادة خورشيد باشا، وثارت جزر الأرخبيل وعجز السلطان عن قمع الحركة فيها وأعلنت اليونان استقلالها. (1)

فطلب السلطان المساعدة من " محمد علي" الذي كان في ذلك الوقت في منزلة الباب العالي حليفا وليس تابعا، فتمكن إبراهيم باشا من إخضاع اليونانيين في جزيرة كريت سنة 1822، ونصب إبراهيم نفسه قائدا عليها.(2)

ويرجع علي محمد الصلابي أسباب ثورة اليونان إلى:

- ✓ إثارة الفتن الطائفية والدينية وتفجير الثورات الداخلية بدعمها المادي والمعنوي، وكانت بلاد اليونان تشكل جزء من ديار الإسلام في ذلك الوقت ويؤذن في مساجدها وأريافها للصلوات الخمس. (3)

- ✓ وكانت تحكم بشريعة الإسلام حيث لا يروق ذلك لزعماء النصارى سواء من اليونان أو غيرهم من الدول الأوروبية. (4)
- ✓ شرعوا في تأسيس جمعيات سرية داخل اليونان وفي روسيا وغيرها، هدفها إحياء الإمبراطورية البيزنطية القديمة على أن تكون تحت إدارة البطريركية الأرثوذكسية الرومية في استانبول. (5)

---

(1) على حسون: تاريخ الدولة العثمانية، ط3، المكتب الإسلامي، 1994، ص 60.

(2) نفسه، ص 61.

(3) علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 122.

(4) علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 123.

* يجب أن نشير إلى نقطة هامة ألا وهي أن الحملة اليونانية التي قام بها محمد علي استجابة لأمر السلطان وذلك بإخمادها يعتقد المؤرخون أن هذه الحملة لها أسبابها الخاصة عند محمد علي وأهمها رغبته في إخفاء نيته الحقيقية في غزو سوريا وزيادة نفوذه الشخصي في العاصمة بالإضافة إلى إنعاش تجارة مصر في بحر إيجة للمزيد أنظر إلى: الرافعي، عصر محمد علي، المصدر سابق، ص 215.

(5) علي محمد الصلابي، المرجع السابق، ص 120.

- ✓ قام رجال الدين باستخدام نفوذهم على الشعب وتحريكهم ضد الدولة العثمانية، حيث كان القساوسة ورجال الدين على صلات وثيقة بزعماء الدول الأوروبية وخصوصا روسيا، ونجد وثيقة هامة تدل على هذا الاتصال من أجل التنسيق والتعاون على تدمير الدولة العثمانية وشعبها. [1]

وهذا ما جاء في نص رسالة البطريرك " جريجوريوس" إلى قيصر روسيا يبين له كيفية هدم الدولة العثمانية من الداخل << من المستحيل سحق وتدمير الأتراك العثمانيين بالمواجهة العسكرية لأنهم ثوريون جدا ومقاومون وواثقون من أنفسهم >>.[2]

حيث امتدت شبكات الجمعية السرية في بلاد المور ة وخارجها وعملت المكائد عملها وأعلنت تمردها عام 1821م.

لقد دفعت الدول الأوروبية السلطان محمود الثاني للاستعانة بمحمد علي في هذه المهمة وأوهمته بأنه سيكون أكبر زعيم في المنطقة، ويمكن أن يؤدي به الأمر ليكون

خليفة على المسلمين. [3]

وقد ذكر لنا محمد صبري أن المؤرخ "إميل برجوا" صدق في قوله بأن تدخل إبراهيم في اليونان إبتداءا من سنة 1824م لم يكن فرض طاعة وإنما نتيجة لمعاهدة فعلية بين تركيا ومصر أمضى السلطان العثماني شروطها المجحفة، متخليا رسميا عن فائدة كريت والمورة أو بعبارة أخرى عن منطقة البحر الأبيض[4]

---

(1) نفسه، ص121.

(2) نفسه، ص ص 122، 123.

(3) جمال عبد الهادي و وفاء محمد رفعت: الدولة العثمانية، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ، ط 1، دار الوفاء، 1994، 98.

(4) محمد صبري، المصدر السابق، ص 68.

وقد قبل محمد علي عرض السلطان بشرط أن يحصل على ولاية كل من كريت واليونان، وبمجرد تلقيه خبر القبول لهذا الشرط أمر ابنه إبراهيم بتولي مسألة الحرب في اليونان.[1]

حيث تحركت جيوش مصر بقيادة إبراهيم باشا ومستشاره سليمان الفرنساوي بحرا من الإسكندرية عام 1823م، باتجاه كريت وشبه جزيرة المورة مركز التمرد الصليبي [2] كان يتألف الأسطول المصري من 51 مركبا مسلحا و 146 نقالة حملت 18ألف جندي ،واتفقا أن يتجمعا الأسطولان التركي والمصري في جزيرة رودس. [3]

وفتح إبراهيم باشا " نافارين" * عام 1824م ودخل أثينا رغم مساعدة القائد الإنجليزي للورد "كوشران" الصليبي اليوناني، وبعد أن تخلصت القوة الإسلامية من التمرد اليوناني كشفت أوروبا عن وجهها الحقيقي، فأعلنت بذلك حمايتها على بلاد اليونان وكانت روسيا تدعم التمرد اليوناني في الخفاء. [4]

ودخلت الجيوش المتحالفة إلى مرفأ "نافارين" دون أن ترفع أعلام الحرب لذا فقد كان دخولها دخول "خديعة" وقامت هذه الأساطيل بمباغتة الأسطول العثماني المصري وغدرت به وأطلقت عليه النيران وهزمته هزيمة نكراء. [5]

وكانت هذه الهزيمة بالنسبة لمحمد علي مفاجأة لم يتوقع لها حساب وأصبحت القوات العثمانية في موضع الضعف والانهزام وهكذا تحقق مخطط الأعداء واستقبلت الشعوب الأوروبية هذه الحادثة بكل فرح وسرور [6] ولما رأى محمد علي ما حل بولده أمره بالانسحاب وقامت فرنسا بأخذ أماكن محمد علي المنسحب وقامت هذه الأخيرة مع إنجلترا بعقد مؤتمر

---

(1) جمال عبد الهادي، المرجع السابق، ص100.

(2) علي حسون، المرجع السابق، ص 62.

(3) جميل عبيد: قصة إحتلال محمد علي اليونان 1824-1827، مطابع الهيئة المصرية للكتاب، 1990، ص 47.

* نافارين: هي مدينة في شبه البيلوبونيزا إقليم مسيناو بها خليج ويعني مرفأ على البحر الأيوني لم تشتهر نافارين من قبل إلا بقيام معركة نافارين المشهورة وتحطيم الأسطول العثماني المصري في 20 أوت 1827م، أنظر الى جميل عبيد، المرجع السابق، 48.

(4) جمال عبد الهادي، المرجع السابق، ص 102.

(5) منير شفيق: تجربة محمد علي الكبير، ط1، دار الفلاح للنشر، بيروت، لبنان للنشر، 1997، ص 38.

(6) نفسه، ص 39.

قرروا فيه فصل بلاد اليونان عن الدولة العلية، [1] وصدق الله تعالى في قوله << وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ >>[2]

هذه المعاهدة عرفت باسم " أق كرمان" والتي جاء فها بحق روسيا بالملاحة في البحر الأسود ومرور سفنها من المضايق العثمانية دون تفتيش [3] ويمكن أن نقول أن معركة نافارين وضعت الدولة العثمانية تحت رحمة الدول الصليبية وأرسلت فرنسا بعثة عسكرية إلى محمد علي وحددت له مهمته إذ أراد أن ينطلق في سياسة توسع وطنية فإن إفريقيا وسوريا تشكلان له إمكانيات عظيمة لا تحمل معها مجازفات ذات شأن.

حيث لم يستطع التوسع في إفريقيا لأنها تعتبر من ممتلكات إنجلترا، وهكذا وجد محمد علي نفسه بعد الانسحاب من اليونان مدفوعا للتوسع على حساب البلاد الإسلامية ولم تكن أمامه إلا بلاد الشام.

وكخلاصة لهذا الفصل يمكننا القول أن بوصول محمد علي باشا للسلطة في مصر أعاد بنائها ونجح في أن يضع القواعد الأساسية التي منحت الصفات المتميزة للكيان المصري حيث لا ننكر أن مصر أصبحت أكبر قوة في الدولة العثمانية في عهده بالرغم من التحديات والصعوبات التي واجهته في إقامة الدولة الحديثة، واتجهت أنظاره نحو السودان وشبه الجزيرة العربية فقام بتأديب الوهابين وإخضاع اليونانيين، وعرفنا أيضا كيف دبر محمد

---

(1) نفسه، ص 40.

(2) قرآن كريم: سورة إبراهيم، الآية 46.

(3) بسام العسلي: فن الحرب الإسلامي في العهد العثماني، مج 5، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1988، ص 287.

* للمزيد أكثر عن معاهدة أق كرمان انظر: بسام العسلي، المرجع السابق، ص 288.،

* وقد كان من نتائج الحرب اليونانية مايلي: حيث في أقل من 3 ساعات انتهى الأسطول العثماني بكامله ودمرت أغلبية السفن المصرية، غرقا وحرقا وكان ذلك هو الأسطول الذي قطع محمد علي شوطا طويلا في شرائه وتحسينه أنظر إلى: خالد فهمي، المرجع السابق، ص 114.

وعرف العالم من هو الجندي العثماني الذي كادت جرائد أوروبا أن تصفه بالوحش الكاسر وتنسب إليه كل الفظائع من نهب وقتل وسلب، للمزيد أنظر: حقي العظم: تاريخ الدولة العثمانية مع اليونان، ط 1، مطبعة الترقي بشارع عبد العزيز، مصر، 1902، ص 219.

علي مسألة جمع القوة العسكرية التي عرف كيف يستخدمها في الاستيلاء على بلاد الشام تلك الولاية التي رغب فيها بشدة منذ زمن طويل.

الفصل الثاني

محمد علي و حرب الشام الأولى (1831م-1833م)

المبحث الأول: أسباب الحملة على بلاد الشام.

هناك عدة عوامل ساعدت محمد علي لضم بلاد الشام، حيث أدرك ضعف السلطان العثماني و أراد أيضا التحرر من العثمانيين ، كذلك لا ننسى طموحه الشخصي لأنه يرى في بلاد الشام أنها مكملة لمصر ، فالباشا كان يطمع دوما فيها و كانت لديه أسباب قوية لحرصه عليها مما يدفعنا هذا للتساؤل، ما الأحداث التي جعلت محمد علي يقوم بهذه الحركة التوسعية؟.

بعد عودة الجيوش المصرية من اليونان بخسارة فادحة كان محمد علي ينتظر تعويض تلك الخسائر ، فاتجهت أطماعه نحو لبلاد الشام مقابل جزية كبيرة فرفض السلطان طلبه لأنه يعمل على اتساع و مد ملكه. (1)

فاستمد محمد علي من هزيمته تحديا كبيرا، و أوكل إلى أبنه إبراهيم باشا بإعادة بناء أسطول بحري قوي بدلا من الأسطول الذي خسره في اليونان (2)

و في حقيقة الأمر فإن للشام وضعه الخاص و إغراؤه الملح الذي مضى يراود محمد علي بين الحين و الآخر ، فمنذ عام 1810م و هو يصبو بنظره إلى تلك المنطقة و يخطط للإستيلاء عليها كما صرح للقنصل الفرنسي برغبته فيها و قدرته على تملكها مقابل مبلغ من المال يدفعه لخزانة السلطان. (3)

لم تغب الشام كما ذكرنا سابقا عن خلد محمد علي فبعد الانتهاء من حرب المورة طلب من السلطان، ولاية صيدا أو عكا مكافأة له و لكن أسند إليه حكم كريت و مضت نزعة الحصول على الشام تلاحقه. (4)

---

(1) أحمد شلبي،التاريخ الإسلامي، ج5، المرجع السابق، ص 283.

(2) نفسه،ص 284.

(3) لطيفة محمد سالم، المرجع السابق، ص 22.

(4) نفسه، ص 23.

فعند دراستنا لتوسع محمد علي باشا رأينا أن أغلب المؤرخين يتفقون على تقديم حجج لتوسعه حيث أراد أن يمد ملكه خارج مصر، و كان ينتهز جميع الفرص ليحقق طموحه التوسعي.

و يقول عنه "دريو" أن الباشا اضطلع بهذا التوسع العسكري الهائل لأنه كان يملك الحلم و الرغبة في أن يكون عظيما،و يرى في موضع آخر أن الباشا بعد أن نجح في إقامة جيش حديث و أسطول مرهوب الجانب و بعد أن رفع إنتاجية مصر، أراد أن يخرجها من حالة التبعية. (1)

و عند الإشارة إلى توسيع محمد علي في بلاد الشام فمنذ القدم و الارتباط وثيق بين مصر و الشام و هذا الأمر أملته الطبيعة على المنطقتين (2)

ثم إن محمد علي باشا كان واليا على مصر قد زحف حتى على سوريا ففتحها ثم على الأناضول * فتوغل فيها، و لولا أن الدولة الإنجليزية أكرهته على الرجوع إلى مصر لاستولي على بلاد الدولة كلها و كان ذلك في عهد السلطان(3)

و تعتبر حملة سوريا من أهم حروب محمد علي حيث رأى المؤرخون أن لها عدة أسباب مترابطة، فمن جهة محمد علي أنه يستحق مكافأة معتبرة كما ذكرنا بعد كل هذه المساعدات التي قدمها للباب العالي في إخماد التمرد الوهابي و الانتفاضة اليونانية. (4)

---

(1) خالد فهمي ، المرجع السابق ص 92.

(2) لطيفة محمد سالم ، المرجع السابق، ص 07.

(*)الأناضول: هي شبه الجزيرة المستطيلة التي تتكون من 755.688 كلم^2 على إمتداد الغرب من قارة آسيا و هي تشكل 97% من أراضي تركيا في الوقت الحاضر و يفصل الأناضول من الشمال الغربي بحر مرمرة للمزيد أنظر :سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك فهد للوطنية، الرياض،2000 ، ص 40.

(3) رشيد رضا: موسوعة عصر النهضة، دار الكتاب العالمي، بيروت، لبنان، 1992م، ص 151.

(4) خالد فهمي، المرجع السابق ص 91.

أ/ الأسباب السياسية:

لقد كانت لأوضاع الشام المتردية عاملا مهما و مشجعا دفع بمحمد علي لضم هذا الجزء من البلاد الإسلامية و لقد كانت هناك أسباب أخرى سهلت له تنفيذ المقصود و يمكن أن نجملها في النقاط التالية:

- ✓ إن للحملة المصرية على بلاد الشام أسبابا عدة حيث يصح اعتبارها حربا دفاعية و هجومية، أما كونها دفاعية لأن محمد علي كان يعلم جيدا أن الدولة العثمانية تسعى إلى استرداد مركزها في مصر. [1]

  -لذلك قرر الاستيلاء على سوريا حتى يتمكن من إقامة منطقة حاجزة بين ممتلكاته في وادي النيل و مركزا للقوة العثمانية في الأناضول. [2]

  -فمن هذه الناحية فإن سيطرته على هذه المنطقة أي بلاد الشام تعد مسألة دفاعية.

  -أما كونها حربا هجومية لأن الغرض منها التوسع في الفتح و السلطة، حيث طلب من السلطان محمود الثاني أن يفي بوعده لكنه رفض ذلك، لأن محمد علي رغب في ضم بلاد الشام،[3] كما ذكرنا منذ 1810 و لقد صرفه عنها إنشغاله في حرب المورة و السودان ثم الجزير العربية ، فالحرب اليونانية.

- ✓ إستفاد محمد علي من العداوة الناشبة بين سليمان والي صيدا و يوسف كنج باشا والي دمشق، و قرر أن يساند الأخير فتوسط له عند الباب العالي في إعادة توليته على باشويته [4].

و قد كتب محمد علي خطابات مختلفة إلى الباب العالي * و إلى نجيب أفندي مندوبه في إسطنبول، و في النهاية نجح محمد علي في تحقيق ما كان يصبو إليه و صدر عفو عن صديقه. [1]

---

(1) عبد الرحمن الرافعي ، عصر محمد علي، المصدر السابق، ص 217.

(2) عمر عبد العزيز: دراسات في تاريخ مصر الحديث و المعاصر(1517-1952م)، الإسكندرية، 1989م، ص 214.

(3) عبد الرحمن الرافعي،المصدر السابق، ص 219.

(4) خالد فهمي ،المرجع السابق، ص 99.

(*)هناك أيضا من يعتقد أن محمد علي باشا يريد تحقيق وحدة عربية تمتد من شبه الجزيرة العربية و مصر و بلاد الشام، تحت سلطته و ذلك بغزو بلاد الشام و يمكن إرجاع سبب الحملة أيضا إلى ضعف السلطان محمود الثاني.

✓ حماية حدوده الشرقية من التهديدات المتكررة من جانب القبائل البدوية التي كانت تمارس أعمال النهب و السرقة على الطرق التجارية التي تربط بين مصر و الشام [2].

✓منع الهاربين من التجنيد الإجباري من الفلاحين الذين وحدو الملجأ في بلاد الشام[3] .

✓و قوته العسكرية، و هو النمو كان مشجعا له على منافسة الدولة العثمانية كدليل على مدى قوته العسكرية و إستعانة السلطان العثماني به في قمع التمرد الوهابي في الحجاز و الثائرين في اليونان و الموزة.

✓شعر محمد علي أن السلطان لن يسكت على إنفصال مصر عن الدولة العلية و أنه ينتظر الفرصة المناسبة لإرجاع مصر إلى الباب العالي و كان الضامن الوحيد لاجتناب أي هجوم من جانب السلطان هو مد حكمه على الأقطار الشامية و الحجاز، و سواحل البحر الأحمر.

✓كانت الظروف الدولية التي قرر فيها محمد علي تنفيذ مشروعه التوسعي على بلاد الشام ملائمة جدا، فبريطانيا منشغلة في ذلك الوقت بالإصلاحات الداخلية للإسراع في مواجهة المد الثوري الذي اجتاح فرنسا . [4]

لقد عرض "محمد علي" على الباب العالي أن يدفع 100 ألف كيس جزية سنوية و يضم الشام، لحكمه حيث في بداية الأمر مالت بريطانيا لمساندة محمد علي باشا لتبعده عن اليونان فتم الإفصاح عن ذلك للقنصل البريطاني في الإسكندرية، و جمع سوء النية بين السلطان و واليه على مصر ، جعل هذا الأخير يرى أنه بسيطرته على الشام سيقف أمام أي عدوان عثماني بهدف إنتزاع مصر منه[5].

(*) الباب العالي: الإسم الرسمي للإمبراطورية العثمانية.

(1) خالد فهمي، المرجع السابق، ص 99.

(2) الغالي غربي: دراسات في تاريخ الدولة العثمانية و المشرق العربي، 1288، 1916م، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، 2010م، ص 185.

(3) نفسه، ص 185.

(4) نفسه، ص 186.

(5) لطيفة محمد سالم ، المرجع السابق، ص 24.

فبدا "لمحمد علي" كي يحافظ عليها يجب أن يخلق الحواجز لحمايتها لذلك نرى هذا الأخير أنه كتب إلى وكيله في الأستانة يعبر عن هذه الأهمية بقوله: "إن الشام لازمة لسلامة مصر" هذا بالإضافة إلى إعطائه الحرية للتوسع في المنطقة العربية و على ذلك فإن الشام هي تأمين للحدود و حماية الممتلكات [1].

حيث في حديث صريح و نزيه مع أحد مستشاريه الفرنسيين العسكريين قال محمد علي: " أنا الآن أهم رجل في الدولة العثمانية كلها، فقد أعدت المدينتين المقدستين* إلى المؤمنين الحقيقيين، و أرسلت جيوشي المنتصرة إلى مناطق لم تعرف من قبل سلطة السيد الأعظم** و إلى مناطق لم تكن قد سمعت بعد عن البارود و سوف يفتح إبني ذراعي الأيمن إبراهيم المورة، و في اللحظة التي ستتوج فيها مهمته بالنجاح سأستدعيه وأعيد هذه الأراضي، إلى سيدها الشرعي، سأستدعي قواتي لتعود و أدرب مجندين جددا و سأكتمل ألاياتي و حينئذ سأنتزع بشاويتي دمشق و عكا..... سوف أكون جيشا عظيما و لن أتوقف إلا عند دجلة و الفرات.." [2].

زد على ذلك انشغال فرنسا بالقضية البلجيكية و انشغالها أيضا بثورة 1830م في باريس [3]و مقاومة الأمير "عبد القادر" *، أما فيما يخص الدولة العثمانية فأوضاعها في تلك الفترة متدهورة جدا و الشام تميزت بضعف التواجد العسكري العثماني، مما سهل على محمد علي القيام بالمهمة، و قد ذكرت أسبابا أخرى لهذه الحملة منها رغبة محمد علي في إقامة منطقة عازلة بين قلب أملاكه في واد النيل، بالإضافة إلى إدراكه بأن الدولة العثمانية تضعف و تنهار، و رغبته في ملء الفجوة التي ستنشأ عن اضمحلال أملاكها بالدخول في توازن

---

(1) نفسه، ص 25.

(*) المدينتين المقدستين: مكة المكرمة و المدينة المنورة.

(**) السيد الأعظم: هو الباب العالي.

(2) خالد فهمي، المرجع السابق، ص 87.

(3) الغالي غربي، المرجع السابق، ص 187.

(*) الأمير عبد القادر: هو عبد القادر ناصر الدين، الإبن الرابع لعبد القادر محي الدين موضعا خاصا لحب والديه، ولد في شهر ماي سنة 1807 في قرية القيطنة على ضفة وادي الحمام في منطقة إغريس التي تقع في إقليم وهران بالجزائر للمزيد ، **أنظر**: شارل هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، تر، أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974، ص 54.

دبلوماسي دقيق بين إنجلترا و فرنسا بضرب كل منهما للأخرى فالذرائع كثيرة، و أهمها النزاع مع "عبد الله باشا" والي عكا الذي إتهمه محمد علي بإيواء حوالي ستة آلاف فلاح مصري فروا عبر الحدود إلى سوريا المجاورة و ذلك هربا من الضرائب [1].

حيث كان "عبد الله" هذا يساعد على تهريب التجارة من الجمارك المصرية و تحويلها عن طريق سيناء، و ابتزاز التجارة للمصريين، فبعض فلاحي الشرقية كما ذكر محمد علي بمصر، ضاقت نفوسهم من إعانات عماله بال جزية فهاجروا إلى جهات غزة ملتجئين إلى والي عكا. [2]

يمكن القول أن محمد علي إتخذ من هذه القضية مبررا كافيا لغزو الشام بحجة أن عبد الله باشا لم يعد هؤلاء الفارين إلى مصر ، و خوفا أيضا من أن يلحق بهم عددا آخر كما ذكر كرد علي[3] .

فامتنع الوالي من ذلك بدعوى أن القطرين تابعا لسلطان واحد [4]كما شكل هذا الموضوع "ألا و هو خبر هروب مجموعة كبيرة من الفلاحين المصريين من خدمة أعباء السخرة و الضرائب" إلى عبد الله باشا والي صيدا [*]، قضية معقدة بالنسبة لمحمد علي ، و يعتبر سبب قوي لحملته على الشام [5].

و كتب محمد علي إلى الصدر الأعظم "رشيد محمد باشا" يبلغه بقيامه بمهاجمة عبد الله لهذا السبب و لكن محمد علي لم يقتنع برد الصدر الأعظم [6].

---

(1) خالد فهمي، المرجع السابق، ص91.

(2) محمد كرد علي، خطط الشام، ج3، المصدر السابق، ص 51.

(3) محمد كرد علي،المصدر السابق، ص 51.

(4) نفسه، ص 52.

(*) صيدا: ولاية صيدا قاعدتها عكا و لذلك تسمى أحيانا ولاية عكا، **انظر** إلى الرافعي ، المصدر السابق، ص 221.

(5) هدى علي بلال: الصراع العثماني المصري على بلاد الشام و الموقف الدولي منه، 1830- 1841، ع4، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، ص 344.

(6) هدى علي بلال، المرجع السابق، ص 345.

*يعتبر الرد أي رد الصدر الأعظم على رسالة محمد علي هو ردا يدل على الضعف الذي كانت عليه الدولة العلية و عدم قدرتها للتصدي لمحمد علي فقال :" إن شكوى بعض التجار لا يمكن أن تسوغ في الجسام و إشعال النار و الحروب و إن

نفهم من خلال هذا أن كل المعطيات السياسية كانت في صالح محمد علي فلم يفوت هذه الفرصة لأنه كان يريد السيطرة على الشام منذ زمن بعيد.

ب- الأسباب الإقتصادية:

بعد أن قدمنا الأسباب السياسية التي دفعت بمحمد علي لإعداد العدة لاحتلال الشام سنتكلم عن الأسباب الاقتصادية التي كانت بالنسبة له عاملا مشجعا أيضا.

لم تكن النظرة الاقتصادية للشام تقل عن مثيلتها الإستراتيجية و خاصة أن محمد علي له إتجاهاته المعينة في هذا المجال، و سياسته تطلبت ذلك و برنامجه التوسعي ألح في استغلال بلاد الشام و مواردها [1]

و كان لمحمد علي في فتح الشام أغراضا إقتصادية حيث أراد إستغلال مواردها من الخشب و الفحم و النحاس تلك الموارد التي كانت مصر تفتقر إليها [2]

فهي بحاجة إلى الوقود لبناء السفن الحربية و التجارية، و إلى الفحم و النحاس و الحديد لترقية صنعائها و كذلك كان يرمي إلى بسط نفوذه في سوريا و ذلك بأن يجند من سكانها في الجيش المصري فيزداد الجيش عددا وقوة [3]. و هذا الإهتمام العميق بسوريا و شؤونها ، أسبابه الخاصة ،ففي المحل الأول كانت مشهورة بالحطب و الخشب المتوافرين بكثرة في مناطقها الواقعة في أقصى الشمال، و كان الباشا هنا منتبها تماما لافتقار مصر للأخشاب [4]

و إهتمام محمد علي بالشام سببه أيضا السيطرة على الطرق التجارية الهامة لأن ذلك سيقوي من مكانته أمام الدول الأوروبية، و السيطرة كذلك على المنتجات و خاصة الحرير.

ما ينشب من نزاع بين الباشوات المتجاورين لا يمكن أن يسوى بإ شهار السيف بل بتدخل الباب العالي ، **أنظر:** إلى الصلابي، المرجع السابق، ص 130.

*الصدر الأعظم: هو كبير الوزراء في الدولة العثمانية.

(1) لطيفة محمد سالم، المرجع السابق، ص 20.

(2) الرافعي ،المصدر السابق، ص 221.

(3) نفسه، ص 221.

(4) خالد فهمي، المرجع السابق، ص 101.

فمحمد علي كان يدرك جيدا مدى نجاحه في ذلك ، لأن نوعية الأخشاب التي تنمو في مصر ليس بجودة الأخشاب المستوردة، لذلك قام باستيراد الأخشاب من أي مكان يجده فيه، حيث كانت سوريا بسبب مساحتها الشجرية الكبيرة جذابة، خصوصا بسبب قربها من مصر الذي يخفض نفقات النقل[1].

و مع ذلك كله فقد كانت سوريا تنتج أنواعا عديدة من الأخشاب تناسب إحتياجات الباشا المختلفة، و في إشارة واضحة عن أهمية سوريا من هذه الناحية كتب إبراهيم باشا إلى أبيه على إثر المفاوضات التي أدت إلى "صلح كوتاهيه" عام 1833م، يخبره أنه من بين الأراضي التي يجوز أنها يجب ألا تسلما إيالات علانية و أنطاليا و سيليسا التي تقع جميعا جنوب الأناضول، فرد عليه "محمد علي" يا بني عليك التولي من العناية بمسألة الأخشاب قدر ما توليه لشل جيش الأستانة [2]

لقد كان العامل الإقتصادي مهما جدا مثله مثل العامل السياسي، حيث كانت الأهمية الإقتصادية لبلاد الشام بسبب موقعها الجغرافي و اتصالها بالأناضول و علاقتها التجارية بأواسط آسيا حيث تمر قوافل التجارة [3].

فالتجارة كانت و لا تزال تستهوي أفئدة أهل الشام، حيث يرون فيها أفضل وسيلة لاستثمار أموالهم و استغلال نشاطهم نظرا لما تعود عليهم من أرباح وفيرة لذلك امتازت المدن الداخلية في إيالات الشام بنشاط كثيف و مستمر، كذلك وجود جاليات أوروبية متعددة الجنسيات[4].

فازدهرت الحياة الاقتصادية في الشام، واتسع نطاق عمليات التصدير و الاستيراد بينها و بين أوروبا[5].

---

(1) نفسه، ص 102.

(2) نفسه ص 103.

(3) محمد سهيل طقوس: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلاقة، ط 3 ، دار النفائس للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 2013، ص 350.

(4) عبد العزيز محمد الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج 2، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة، 2004، ص 53.

(5) نفسه، ص 60.

و قد كانت المدن السورية معظمها مزدهرة من الناحية الاقتصادية، و تعتبر مدينة حلب أكثرهم ازدهارا لما لها من أهمية تجارية كبيرة، فقد كانت مركزا لتجارة قوافل بغداد، و البصرة، و فارس، و تتصل حلب بأوروبا عن طريق الإسكندرية و اللاذقية، و قد كانت هذه القوافل تحمل إلى حلب منتجات الشرق و الغرب، و تجعل منها سوقا تجاريا عالميا، زد على ذلك الأهمية السياسية التي كانت تتمتع بها بلاد الشام ألا وهي الدول الأوروبية الكبرى تعتبرها بمثابة مركز أمامي للاستطلاع و جمع المعلومات عن أحوال الشرق الأوسط[1].

و اشتهرت الشام أيضا بصناعة القطن و النسيج بالإضافة إلى الصناعات الأخرى مثل الخشب التي كانت تستهوي محمد علي باشا، و كان من الأسباب الرئيسية لنجاح التجارة في بلاد الشام هو تقبل هذه الأسواق للبضائع الأوروبية، حيث تبين التقارير في سوريا أن التجارة كانت مزدهرة جدا خلال الثلاثينيات بدليل تصدير بضائع من دمشق إلى بغداد تزيد قيمتها عن مليوني فرنك[2].

فالعوامل الحقيقية التي دفعت بمحمد علي إلى الاستيلاء على سوريا هي طموحه إلى توسيع دائرة حكمه و ذلك باستخدام ما في بلاد الشام من خيرات و رجال.

و قد ظهر هذا الغرض فيما كتبه "كلوت بك" حيث قال "إن ضم سوريا هي طموحه و أن ضمها إلى مصر كان ضروريا لصيانة ممتلكات العزيز، فمنذ أن تقرر في الأذهان إنشاء دولة مستقلة على ضفاف النيل يفيد المدينة فائدة عامة، وجب الاعتراف بأنه لا يمكن إدراك هذه الغاية إلا بضم سوريا إلى مصر، و قد رأينا فعلا أن شكل البلاد الحربي لا يجعلها بمأمن من الغزوات الخارجية[3].

---

(1) أحمد عزت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 124.

(2) ليندا شيلشر: دمشق في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر، تر: عمرو الملاح و دينا الملاح، ط 1، دار الجمهورية، دمشق، سوريا، 1998، ص 79.

(3) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 350.

و في سوريا يوجد الفحم الحجري و الأخشاب و النحاس و غيرها، فمصر بحاجة إليها، و ذلك لتوسيع مشاريعه الصناعية، بالإضافة لعلاقاتها التجارية بأوساط آسيا، و فيها تمر القوافل حاملة حاصلات الشرق إلى الغرب(1).

فالأخشاب التي هو بحاجتها شكلت جوهرا في المتطلبات المصرية الحربية و في مصر نفسها لأن هذه الأخيرة ليست بالبلاد المنتجة لها، فلابد من الاعتماد على الخارج، فالأسطول المصري يمثل الدعامة الأساسية لقوة مصر، فلابد من الحصول على الأخشاب لإعادة تجديده من جديد(2).

و تشكل باقي المنتجات الشامية غنى و ثقلا في الميدان الاقتصادي أراد محمد علي أن يعبدها لمشاريعه مثل الحرير و الزيتون و الصابون و الجلود، و الخيول و عليه يتم التكامل الاقتصادي بين مصر و الشام(3).

و مع كل تلك الأسباب يجب ألا ننسى القيمة الدينية و الثقافية للشام لأنها تضم القدس الشريف و تعتبر دمشق إحدى المراكز القيادية للثقافة الإسلامية زد على ذلك المنزلة الكبيرة التي تتمتع بها(4).

فامتلاك الشام سيأتي بالأموال و ذلك عن طريق تطبيق السياسة الاقتصادية التي كثيرا ما اعتمدت على الاحتكار، فاعتقد محمد علي أن المنطقة ستعود عليه بالأرباح، كذلك كانت لديه الرغبة الملحة لتحقيق طموحه في ضم المزيد من البلاد العربية عن طريق حروب الشام، ليصل إلى هدفه المنشود، ألا و هو "تعمير بلاد الشام و تأمين طريق الحج"(5).

---

(1) عزت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 125.

(2) لطيفة محمد سالم، المرجع السابق، ص 23.

(3) نفسه، ص 24.

(4) نفسه، ص 21.

(5) لطيفة محمد سالم، المرجع السابق، ص 22.

و بحديثنا عن البلاد العربية حيث حاول السلطان العثماني محمود الثاني أن يقضي على أطماع محمد علي باشا الذي احتل الشام، و ذلك خلال الثلاثينيات و قيامه بتهديد كيان الإمبراطورية العثمانية ذاتها[1].

بالرغم للحالة التي وصلت إليها الدولة العثمانية كما ذكرنا بخروجها من الحرب اليونانية منهكة القوى إضافة إلى إلغاء السلطان فرقة الإنكشارية * فاستغل محمد علي كل هذه الظروف و قرر الاستيلاء على الشام قبل أن يسبقه أحد إليها.

كانت هذه الأسباب السياسية و الاقتصادية التي دفعت "بمحمد علي باشا" لاحتلال الشام، حيث كانت كل الفرص متاحة أمامه لتنفيذ مشروعه التوسعي.

المبحث الثاني: سير الحملة و احتلال الشام.

مهما كانت المبررات التي إستند إليها الباشا لغزو الشام بحيث كانت الشرارة التي أشعل منها تلك الحرب إلا أن الشيء المؤكد أنه قد اغتنم فرصة تكالب الأحداث المتتالية على الدولة العثمانية بدءا من إلغاء جيش الإنكشارية على أيدي السلطان محمود الثاني و

---

(1) أحمد عبد الرحيم مصطفى: أصول التاريخ العثماني، ط1، دار الشرق، القاهرة، 1993، ص 79.

(*) الإنكشارية: و هم جند أنشأه العثمانيون على شكل خاص لم يسبق له مثيل لخلوه من عصبية تبعثه على التمرد و هو مؤلف من الغلمان الذين كان العثمانيون يأسرونهم في الحرب و أكثرهم من أصل مسيحي للمزيد أنظر إلى: جرجي زيدان: مصر العثمانية، تح، محمد حرب، دار الهلال، الإسكندرية، 2003، ص 65.

خروج الدولة العثمانية من حروب اليونان و روسيا لينطلق ليحقق أهدافه و أطماعه التوسعية.

كان محمد علي باشا يطمع في توسيع أملاكه و يرغب في ضم بلاد الشام إليه، و لما فرت أعداد من مصر إلى الشام و التجؤوا إلى والي عكّا عبد الله باشا الجزار هربا من الضرائب الفادحة التي فرضها عليهم محمد علي باشا في مصر و رفض الجزار إعادتهم لذا جهز محمد علي باشا جيشا بريّا و آخر بحريا بإمرة ابنه إبراهيم باشا، و سيره إلى الشام و سارت الحملة في 27 جمادى الأولى 1248هـ عن طريق البحر أما البرية فقد سبقتها و احتلت غزة و يافا و القدس و نابلس و التقتا في حيفا(1).

و جعل إبراهيم باشا مدينة حيفا مقرا لأعماله و مركزا لأركان حربه ومستودعا للمؤن و الذخائر ثم ارتحل عنها لمحاصرة مدينة عكّا فحاصرها برا و بحرا في 20 جمادى الأولى الآخرة 1248هـ الموافق لـ 27 نوفمبر 1831م حتى لا يأتيها المد بحرا فلا يقوى على فتحها كما حصل لبونابرت من قبل حين حاصرها سنة 1899م(2).

في نفس الوقت الذي بعث فيه إبراهيم باشا برسالة إلى الأمير بشير الشهابي يستحثه فيها على التقدم إليه مع أعوانه ليتداول معه الرأي حول كيفية حصار المدينة و لكن الشهابي كان مترددا في بداية الأمر مما جعل إبراهيم باشا يخبر والده بذلك، فغضب محمد علي باشا و كتب إلى الأمير الشهابي يتهدده و يتوعده إن هو تأخر عن الحضور لمساعدة إبراهيم باشا، فسارع بالانخراط هو و رجاله في قوات إبراهيم باشا، مما أكسبها قوة، إذ سرعان ما توحدت الجهود في حصار المدينة و أسندت الأمور في الجبل إلى الأمير بشير الشهابي (3)*، بينما

---

(1) محمود شاكر: التاريخ الإسلامي. العهد العثماني، ط4، الكتب الإسلامي، بيروت، 1421هـ. 2000م، ص 168.

(2) محمد فريد بك المحامى، الدولة العلية العثمانية، المصدر السابق، ص 449.

(3) عايض بن خزام الروقي: حروب محمد علي في الشام و أثرها في شبه الجزيرة العربية 1248هـ-1255هـ/1831م-1839م، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1406هـ/1986م، ص 78.

(*) الأمير بشير الشهابي: تولى الحكم في لبنان عن أحمد باشا الجزار و كان في أول الأمر مسلما، ثم اعتنق النصرانية، و صار رومانيا، حالف محمد علي باشا ضد الدولة العثمانية و قد نفاه الانجليز إلى مالطة، توفي في الأستانة سنة 180 أنظر: عايض بن خزام الروقي: ص 79.

حوصرت المدينة من البحر و البر و قطعت عنها الإمدادات من أي جهة و استمرت القوات المصرية في اتصالها بالثغور المصرية عند الحاجة[1]، و هكذا فلما علم الباب العالي بدخول الجيوش المصرية إلى بلاد الشام، و محاصرتها لمدينة عكّا و اعتبر ذلك عصيانا من محمد علي باشا، و أوعز والي حلب المدعو عثمان باشا بالسير لمحاربة المصريين [2]، و لقتال إبراهيم فسار إليه فترك إبراهيم باشا حصار عكّا بقوة صغيرة و سار لملاقاة "عثمان باشا" فالتقيا قرب حمص فانهزم عثمان باشا و رجع القهقري[3].

ثم عاد إبراهيم باشا فشدد الحصار على عكّا و دخلها عنوة في 27 جمادى 1247 (28 مايو 1832م) و أخذ عبد الله باشا الجزار بسبب هذه الحرب أسيرا و أرسله إلى مصر [4].

و بمجرد وصول خبر سقوط مدينة عكّا في أيدي المصريين أمر السلطان محمود بجمع كل ما يمكن جمعه من الجيوش المنظمة، فجمع في أقرب وقت نحو ستين ألف مقاتل[5] تحت قيادة حسين باشا و كأنه بذلك يؤكد عزمه على الاستمرار في الحرب، إلى أن يخضع هذا التابع الثائر في حين أن محمد علي لم يقتنع بعكّا حين سقوطها بأيدي قواته فقد سلمت له دمشق في 14 محرم سنة 1248هـ، 15 يونيو سنة 1832م، في حين أن أسطوله البحري قد استمر في فتح مدن السواحل الشامية كاللاذقية و بيروت و صيدا [6] ثم سار إبراهيم باشا بجيوشه و التقى بمقدمة جيوش حسين باشا عند مدينة حمص و انتصر عليها، ثم دخل مدينة حلب في شهر صفر سنة 1248هـ الموافق يوليو سنة 1832م، و قد كان لسقوط عكّا و حلب تأثيرا على أفكار محمد علي باشا و على تبلور أهدافه و أطماعه التوسعية، إذ نراه حين يرسل للجند الثائرين في مكة يتساءل باستغرا ب و استياء عن أهدافهم

---

(1) نفسه، ص 79.

(2) محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 450.

(3) محمود شاكر، المرجع السابق، ص 169.

(4) محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 451.

(5) عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، المصدر السابق، ص 328.

(6) محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية و المسألة الشرقية، المرجع السابق، ص 160.

من هذه الثورة، و جيوشه قد فتحت عكّا و حلب و كأنه يؤكد لهم بذلك أنه حاجب الأمر في الشام و في الحجاز، و في نفس الوقت الذي يرسل المدد و الدعم المادي و العسكري لابنه إبراهيم باشا للسير في طريق الحرب للسيطرة على الشام(1).

و لما علم حسين باشا بانهزام المقدمة تقهقر بمن معه من الجيوش و تحصن في أهم مضايق جبال طوروس الفاصلة بين الشام و الأناضول، و يسمى هذا المضيق بمضيق بيلان* و هو مشهور في التاريخ لمرور الإسكندر المقدوني من حين أتى لفتح بلاد الشام و مصر و مرور الإفرنج، حين أتو ا من طريق القسطنطينية لفتح بيت المقدس و استخلاصه من أيدي المسلمين أثناء الحروب الصليبية، فلحقه إبراهيم باشا و فاز عليه فوزا عظيما و فرق شمل جيوشه في غزة ربيع الأول. 1248هـ (يوليو 1832م) عندها عاد حسين باشا إلى الوراء متخليا بذلك عن أهم المواقع الإستراتيجية للسيطرة على سوريا الشمالية(2).

انفتح بذلك الباب أمام جيوش إبراهيم باشا للسيطرة على آسيا الصغرى، عند ذلك دعت الدولة العثمانية أعظم قادتها و أمرهم الصدر الأعظم رشيد محمد باشا و أسندت إليه قيادة الجيش العثماني لصد إبراهيم باشا، و لكنه وقع أسيرا بيد الخيالة المصريين نتيجة لسوء الأحوال الجوية التي ساعدت دخوله إليهم ظنا أنهم من عساكره، و عند انتشار الخبر بين جنده، اختل نظامهم و انهزموا في تلك المعركة في الثامن و العشرين من شهر رجب سنة 1248هـ الموافق لـ 21 ديسمبر سنة 1833م وهي معركة قونية الشهيرة(3).

و التي تعتبر تحولا حاسما في حروب الشام الأولى التي خاضها محمد علي ضد الدولة العثمانية، لما ترتب عليها من نتائج جعلت أبواب القسطنطينية مفتوحة أمام هذا التابع القوي و بذلك خشيت الدول الأوروبية من سيطرة محمد علي باشا على الدولة العثمانية، و إحيائها

---

(1) عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج1، المرجع السابق، ص 55.

(*) بيلان: تقع مدينة بيلان جنوبي الإسكندرونة و شمالي المضيق و الجبل المعروفين باسمها و يصل إليها طريقان، طريق من كليس و طريق من أنطاكية و يقترب الطريقان من سفح الجبل، بحيث يفصل بينهما نحو ثلاثة آلاف متر، ثم يلتقيان في جنوبي بيلان فيصبحان طريقا واحدة تصل إلى المدينة أنظر: عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص238.

(2) عايض بن خزام الروقي، المرجع السابق، ص 81.

(3) لطيفة محمد سالم، المرجع السابق، ص 51.

من جديد و دب روح الحياة فيها، و كانت أكثر الدول خوفا هي روسيا التي عرضت على الخليفة دعمه و أرسلت 10 آلاف جندي لحماية اسطنبول فخافت انجلترا و فرنسا من التدخل الروسي و طلبت من الخليفة ضرورة التفاهم مع محمد علي باشا فقبل بهذا التوسط[1].

و بالتالي فتحت المجال أمام الدول الأوروبية لتحقيق أطماعها المبيتة ضد الدولة العثمانية، مما يعني انفتاح الطريق أمام جيوش إبراهيم باشا إلى عاصمة الدولة، و مضيق البوسفور و الدردنيل هو انفتاح لطريق الخطر يهدد الدولة العثمانية[2].

و هكذا نستطيع أن نقول أن حروب الشام الأولى قد جاءت في وقت مبكر، لذلك لم تجد الدولة العثمانية الفرصة الكاملة لبناء عساكرها الجديدة، مما أتاح لمحمد علي الانتصار في تلك الحروب.

المبحث الثالث: عقد "اتفاقية كوتاهية" و نهاية حرب الشام الأولى.

فقبل الحديث عن هذه الاتفاقية و شروطها يجب أن نشير أولا إلى مقدمات عقد صلح كوتاهية و التوصل إلى حل مؤقت يرض الطرفين.

فلما علم السلطان العثماني محمود الثاني بالانتصارات التي حققها إبراهيم باشا على الجيوش العثمانية بالرغم من القيادة المحكمة لجيوش السلطان ،الأمر الذي أقلق هذا الأخير و أخافه، فلم يجد أمامه سوى اللجوء إلى الدولة الأوروبية و ذلك لمساعدته و الوقوف إلى جانبه، حيث لم تجبه في بداية الأمر و رأت أن هذه القضية مسألة داخلية يجب أن يحلها السلطان مع واليه دون التدخل من أي أحد.

---

(1) محمود شاكر، المرجع السابق، ص 170.

(2) عايض بن خزام الروقي، المرجع السابق، ص 83.

و بعد تفكير طويل لم يجد السلطان أمامه سوى روسيا عدوه اللدود، فلما رأت جيوش محمد علي باشا تجتاح الشام تخوفت، فأعلنت وقوفها إلى جانب محمود الثاني، و لما علمت فرنسا و بريطانيا بمساعدة روسيا للباب العالي تفاجأتا من تدخلها في هذا الأمر، كما أثار هذا التدخل قلقهم، و رأت فرنسا أنه من الغريب أن تقف روسيا بجانب السلطان لأنهما على علاقة متوترة، فروسيا لم تساعد السلطان محبة فيه ساعدته لأن لها أطماع خفية ألا و هي الوصول إلى المياه الدافئة، فتحركت إنجلترا و فرنسا لفض الخلاف بين محمود الثاني و محمد علي.

و ضغطت كل من الدولتين علي محمد علي و السلطان حتى لا تجد روسيا سببا للتدخل فاستغلت فرنسا علاقاتها الودية بمحمد علي لإقناعه بتسوية الخلاف[1].

اهتمت روسيا بهذا الموضوع جيدا و خافت من تجدد الدولة العثمانية لأنها كانت تريد لها الضعف و السقوط و أرسلت إلى السلطان خمسة عشر ألف جندي روسي أدى

هذا إلى اضطراب كل من فرنسا و إنجلترا[2].

و لكي نوضح أكثر موقف روسيا من هذه القضية فقد نظرت بعين الخوف و القلق إلى تقدم الجيش المصري و اقترابه من استانبول، و خشيت من اتساع نفوذ محمد علي باشا حتى المضائق و البحر الأسود، فاستطاعت تأسيس دولة قوية تقوم على أنقاض الدولة العثمانية[3].

أما فرنسا فكانت دائما تشجع محمد علي في سياسته التوسعية في بلاد الشام ففي الوقت الذي استأنف فيه محمد علي باشا زحفه فاحتل كوتاهية، بعث في أواخر شوال و أوائل شباط

---

(1) عمر عبد العزيز بن عمر: تاريخ المشرق العربي (1516-1922)، دار النهضة للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ص317.

(2) عدنان العطار: الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط، طر، دار وحي القلم، دمشق، سورية، 2006، ص144.

(3) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص354.

مذكرة إلى القائم بالأعمال، الروسي "بوتنييق" يطلب فيها إرسال أسطول روسي إلى منطقة الممرات، و قوات برية إلى العاصمة للمحافظة عليها، فلبت روسيا طلب السلطان و أرسلت أسطولا بحريا و أربعة عشر ألف جندي في منطقة البوسفور [1].

أصبحت المسألة المصرية مثارا لمطامع الدول الأوروبية و ذلك منذ أن أسس محمد علي الدولة المصرية الحديثة، فلما توترت العلاقات بين مصر و الدولة العثمانية في حروب الشام اقترن اسم المسألة المصرية بالمسألة الشرقية، حيث اشتدت الصراعات الدولية بشأنها و انبعثت المطامع القديمة التي كانت تسعى لها كل الدول الأوروبية[2].

و الغريب من هذا كله أن سياسة بريطانيا حيال "محمد علي باشا" تقوم على أساس التظاهر بالمحافظة على أملاك الدولة العثمانية أمام أطماعه و توسعاته، في حين أخذت تعمل على رده إلى حدود مصر حتى لا يكون له من القوة ما يهدد مصالحها [3]، حيث رأت إذا زاد طموحه التوسعي في تلك المنطقة من مناطق الشرق فهو زيادة توسع فرنسا كذلك.

أما بالنسبة "لاتفاق كوتاهية" و الذي عرف بهذا الاسم نسبة إلى مدينة كوتاهية التي زحف إليها محمد علي، فكان الدافع الحقيقي و الوحيد لعقد هذا الاتفاق هو "خوف انجلترا و فرنسا من زيادة النفوذ الروسي في أنحاء الإمبراطورية العثمانية، بعد أن هرعت القوات الروسية إلى الأستانة لحمايتها من السقوط على يد قوات محمد علي[4].

لم يكن على السلطان العثماني إلا الاستجابة لمطالب محمد علي باشا لأن في تلك الفترة بالذات قام إبراهيم باشا بالاستيلاء على الشام، كما هدد هذا الأخير السلطان بالزحف على الأستانة إن لم يستجب لمطالب أبيه.

---

(1) نفسه، ص355.

(2) عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، المصدر السابق، ص225.

(3) نفسه، ص355.

(4) محمد رفعت عبد العزيز: الجيش المصري و حروب الشام الأولى (1831-1833م)، ط1، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، عمان، 1999، ص52.

فمن المعقول جدا أن يتشجع جيش كبير مثل جيش إبراهيم في موقعة كبرى كهذه عن مواصلة الزحف و التهديد في بلاد عدوه.

و مهما يكن من أمر فقد توصل الطرفان إلى عقد "صلح كوتاهية" كحل مؤقت لفض النزاع بينهما(1).

و قد بذلت فرنسا جهودا كبيرة في هذه القضية للتوفيق بين وجهتي النظر العثمانية و المصرية، كما هددت محمد علي باشا بقطع العلاقة مع مصر، إذا لم يقم هذا الأخير على القبول بالصلح(2).

من أجل ذلك أرسلت رسلا للتفاهم مع محمد علي باشا من كل ناحية و أرسل السلطان أيضا مندوبا عنه و هو خليل باشا ليتفاوض مع والي مصر محمد علي في حسم الخلاف وديا(3).

و لم يوافق "اللورد بامستون" وزير خارجية بريطانيا على ترك الروس يبسطون حمايتهم على الدولة العثمانية، و في هذه الفترة عين قنصلا جديدا في مصر هو المستر "باتريك كامبل" خلفا للقنصل البريطاني السابق، الذي كان يتحدث عن محمد علي بازدراء و يسميه بالوالي الثائر، و عين بامستون كامبل لكي يعرف نوايا محمد علي و أغراضه و لما علم محمد علي بذلك أرسل إلى كامبل أنه لا يريد بالدولة شرا و إنما يرجوا إنقاذها و إصلاح شأنها خارجيا(4).

و عموما فقد اتفق الطرفان على صلح "كوتاهية" في 8 أفريل إلى 4 ماي 1833 و أهم ما جاء فيه:

---

(1) نفسه، ص53.

(2) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص356.

(3) هدى علي بلال، الصراع العثماني المصري على بلاد الشام، المرجع السابق، ص347.

(4) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص253.

أ. أن يتخلى المصريون على إقليم الأناضول و انسحاب جيوشهم إلى ما وراء جبال طوروس[1].

ب. أن يتخلى السلطان العثماني "لمحمد علي" عن سوريا و جزيرة كريت و الحجاز [2].

ج. تعطى لمحمد علي باشا ولاية مصر مدة حياته[3].

د. تعيين محمد علي باشا ولايات الشام الأربع عكا و طرابلس و حلب و دمشق بالإضافة إلى جزيرة كريت.

هـ. تعيين إبراهيم باشا واليا على إقليم أدنة[4].

و بواسطة الدبلوماسيين الروس، و كذلك الفرنسيين تنازل الباب العالي لمحمد علي عن كامل بلاد الشام[5].

و قد تم الاحتفاظ بإقليم أدنة لسببين رئيسيين و هما: الأول و هو من صميم الأناضول لما اشتهر عنه من كثرة مناجمه ووفرة أخشابه و الآخر لأنه ينتهي بجبال طوروس التي أراد محمد علي باشا أن يجعلها الحد الفاصل بين مصر و الدولة العثمانية[6]

و تجدر بنا الإشارة هنا إلى أن السلطان العثماني قد رفض في بداية الأمر إعطاء إقليم أدنه إلى محمد علي باشا و أرسل له مكتوبا مع الصدر الأعظم، و تعمد السلطان عدم ذكر إقليم أدنه، و بطبيعة الحال رفض محمد علي هذا المكتوب[7].

فتراجع السلطان عن اتفاق كوتاهية و استمر إبراهيم باشا في زحفه و احتلال العديد من الأراضي العثمانية، الأمر الذي زاد من قلق السلطان محمود الثاني فوافق هذا الأخير

---

(1) المسعودي: الدولة العثمانية في لبنان و سورية حكم أربعة قرون (1517-1916)، دار الكتب المصرية، مصر، 1916م، ص30

(2) محمد عبد الفتاح أبو الفضل: الصحوة المصرية في عهد محمد علي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1999، ص188.

(3) عدنان العطار، المرجع السابق، ص144.

(4) عدنان العطار، المرجع السابق،145.

(5) كارل بروكلمان، المرجع السابق، ص548.

(6) هدى علي بلال، المرجع السابق، ص348.

(7) نفسه، ص 349.

فيما بعد على التنازل عن إقليم أدنة، و ذلك بإصدار فرمانا في 6 أيار 1833م أعلن فيه عن تثبيت محمد علي باشا على حكم مصر وكريت كما أسند إليه ولاية سوريا و الحجاز و تخويله إدارة إقليم أدنة[1]، و أصبحت حدود مصر الشمالية تنتهي عند مضيق "كولك" بجبال طوروس[2] و بتوقيع اتفاقية كوتاهية انتهت المرحلة الأولى لحروب الشام و ذلك بتوسيع أرجاء الدولة المصرية و قد بدت أن الأزمة انتهت أيضا.

لقد خاب أمل السلطان محمود الثاني بالدول الأوروبية لأنها خذلته و لم تقم بمساعدته ضد محمد علي فاستاء لذلك حيث أدى به هذا الاستياء إلى عقد اتفاق مع روسيا عرف بمعاهدة "هنكار أسكلسي" بعد توقيع اتفاقية كوتاهية و ذلك في 8 تموز 1833م، بمساعدة سفير روسيا "الكونت أورلوف"[3]، حيث استغلت روسيا وجود جيوشها في الأناضول ووقعت هذه المعاهدة التي ورد ذكرها حيث تعتبر معاهدة دفاعية هجومية مع السلطان[4]

و فيما تروي إليه بعض المؤلفات أن السلطان عقد اتفاقية كوتاهية و هو مرغما على ذلك و كان يسعى لنقضها بأي طريقة كلما سنحت له الفرصة بالقيام بذلك، و قد جاء في معاهدة "هنكار أسكلسي" ما يلي:

أ. التزام كل من روسيا و الدولة العثمانية أن تساعد كل دولة الأخرى إذا استهدفت لخطر خارجي أو داخلي.

ب. تعهد الباب العالي بأن يسمح للأسطول الروسي بالمرور عبر المضائق.

ج. أن يغلق الباب العالي المضائق في وجه جميع السفن التابعة للدول الأخرى التي هي في حال حرب مع روسيا، و مدة المعاهدة هي ثماني سنوات[5].

د. السماح لروسيا ببسط نفوذها في شؤون الدولة العثمانية و بسط حمايتها الفعلية عليها[6].

---

(1) محمد عبد الفتاح أبو الفضل، المرجع السابق، ص189

(2) هدى علي بلال، المرجع السابق، ص349.

(3) هدى علي بلال، المرجع السابق، ص347.

(4) عدنان العطار، المرجع السابق، ص144.

(5) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص357.

(6) نفسه، ص 358..

و الواضح هنا أن المعاهدة كانت حلفا دفاعيا بين الدولتين كما كان في المعاهدة شرط سري بين الدولتين و هو تنازل روسيا عن حقوقها في الحصول على المعونة العسكرية من الدولة العثمانية مقابل موافقة هذه الأخيرة على إغلاق الممرات في وجه سفن الحربية عند الحاجة(1).

و لكن في الحقيقة لو نفذت هذه المعاهدة بحذافيرها حقا لأصبحت الدولة العثمانية دولة تابعة لروسيا و يبدو أن العقبات كثيرة في تنفيذها نذكر منها:

- ✓ دخول السفن الروسية إلى المضائق كان معناه الاشتباك في حرب مع إنكلترا.
- ✓ أن فرنسا كانت لديها أسباب قوية لمناصرة مصر ضد السلطان.
- ✓ رأت إنجلترا في هذه المعاهدة خطرا يهدد مصالحها، لذلك بادرت هذه الأخيرة إلى

اتخاذ كل الإجراءات لتعطيل هذه المعاهدة(2)، بعد صلح "كوتاهية" دخلت سوريا تحت الحكم المصري و أصبح إبراهيم باشا حاكما عاما على الولايات السورية ممثلا لوالده:

و قد قام إبراهيم باشا بعدة إصلاحات في سوريا أهمها:

أ. إعادة تنظيم الدولة إداريا و اعتماد المركزية في الحكم(3).

ب. زيادة و تنشيط التجارة الداخلية و الخارجية.

ج. إجراء إصلاحات في التعليم و تأسيس أول مطبعة في لبنان عام 1834 و اعتماد اللغة العربية في التعليم.

د. بث الروح القومية بين صفوف الشعب و تنشيط الزراعة و تشجيعها و تحديد الضرائب الزراعية بدقة.

هـ. زيادة المساحات المزروعة و إنشاء القرى الجديدة(4).

---

(1) نفسه، ص 359.

(2) مؤلف مجهول: مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا في سوريا. تح: أحمد غسان سبانو، سلسلة دراسات و وثائق تاريخ دمشق و الشام، دمشق، ص17.

(3) نفسه، ص18.

(4) نفسه، ص19.

كما اعتمد إبراهيم في حكمه على القوى السياسية التالية:

اعتمد على الأمير بشير الشهابي في المنطقة اللبنانية و اعتمد على شيوخ عبد الهادي في منطقة نابلس و اعتمد على المسيحيين أكثر [1].

يمكن القول أن سياسة إبراهيم باشا و إصلاحاته في سوريا استطاعت أن تنمي الحياة الاقتصادية و الاجتماعية فتحسنت الأوضاع العامة لكن هذا لا يعني أن هناك أخطاء كبيرة صدرت من الحكومة المصرية في بلاد الشام ،و هذا راجع إلى تطبيق نظام التجنيد في الشام و اعتماده أيضا على قوات عسكرية أجنبية مسيحية في جيشه، جعله بطبيعة الأمر يعتاد التعامل مع المسيحيين في سوريا[2].

صحيح أنه في بداية الأمر استقبل أهل الشام إبراهيم باشا بكل فرح و سرور لكن عند ارتكابه الأخطاء تذمر منه عامة الشعب السوري[3].

الأمر الذي أدى إلى نشوب ثورات كثيرة في الشام هذه الثورات التي كانت الدولة العثمانية و الدول الأوروبية تحركها لكن من بعيد و هذا ما سنعرفه في حرب الشام الثانية التي كانت إحدى أسبابها الثورات.

هكذا عرفنا أن "اتفاق كوتاهية" لم يكن إلا حل مؤقت لإيقاف الحرب بين الطرفين.

---

(1) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص280.

(2) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص19.

(3) عمر الإسكندري و سليم حسن: تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، تح :الكبتن سفدج، ط 2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م، ص181.

الفصل الثالث

حرب الشام الثانية (1838م-1840م)

المبحث الأول : أسباب تجدد الصراع العثماني المصري على الشام

فقبل الحديث عن أسباب "حرب الشام الثانية "، يجدر بنا الإشارة إلى أن "محمد علي " كانت رسالته هي إنقاد الدولة العثمانية من خطر الخراب و السقوط، وبذل كل جهد من أجل إعادة بناءها، ومما لاشك فيه أن "صلح كوتاهية" لم يكن سوى هدنة مؤقتة، لم يوافق عليها محمد علي خشية من تهديد الدول الأوربية له، لأنها ستمنعه من تحقيق أطماعه التوسعية، الأمر الذي أدى أيضا بحمود الثاني إلى توقيع هذه الإتفاقية و هو مكره عن ذلك حيث لم يرى هذا الأخير إلا أنها حل مؤقت لكي يعيد بناء جيشه من جديد، بعد الهزيمة النكراء التي تلقتها جيوشه على يد إبراهيم باشا، فقرر أن يستعد لخوض معركة أخرى ، هذه الحرب التي عرفت بحرب الشام الثانية.

وقد كان من أسباب تجدد الصراع على بلاد الشام مايلي:

- ✓شروط إتفاقية كوتاهية التي أرغم الطرفان على عقدها، حيث أدت هذه الأخيرة إلى تأزم الوضع بين الوالي و السلطان .
- ✓تحريض إنجلترا الباب العالي على الإنتقام من محمد علي باشا بكل الوسائل .[1]
- ✓تحريض السلطان العثماني سكان الشام، وذلك بالقيام بثورات محلية ضد حكم "محمد علي " [2] وكان لسكان بلاد الشام ما حملهم فعلا لإعلان الثورة ضد محمد علي[3].

وهذه الثورات سنتكلم عنها فيما بعد .

- ✓إعتماد إبراهيم باشا على قوات عسكرية أجنبية مسيحية في جيشه، وقد كان هذا سببا ممهدا للفتن و الحوادث ، خصوصا أن الأغوات و المتنفذين الذين ساءهم حكم إبراهيم باشا و إصلاحاته ، و محاولة هذا الأخير القضاء على نفوذهم .[4]
- ✓قيام إبراهيم باشا بفرض التجنيد و ضريبة الفردة* و إرغام الأهالي على الخدمة العسكرية [1]

(1) مصطفى كامل باشا : المسألة الشرقية، ج1، ط2، مطبعة اللواء، مصر ، 1909، ص 135.

(2) عدنان العطار، المرجع السابق، ص144.

(3) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي، المرجع السابق، ص 318.

(4) مجهول : مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا ، المصدر السابق ، ص 18 .

✓إحتكار جميع أصناف الحرير ، وبعض المواد الأخرى ، و إكراه الأهالي على زرع الحاصلات التي لا غنى عنها للبلاد كالحبوب مثلا .[2]

✓إقامة خمارة و منع الناس من صنع الخمر في بيوتهم، فقد فرض إبراهيم باشا ضريبة بهذا الخصوص ، لأن ذلك سيساعد على زيادة الدخل الذي يحتاجه الحكم[3]

✓إستمالة رؤساء العشائر ، و أصحاب الزعمات و الأعيان من قبل الدولة العثمانية و الوقوف إلى جانبها لإخراج محمد علي باشا من الشام .

✓شكل ظهور خورشيد باشا في شرقي الجزيرة العربية ، وتهديده لجنوب العراق خطرا كبيرا على قوات إبراهيم باشا[4]

✓رغبة محمد علي باشا في الإستقلال ، و الإنفصال عن الدولة العثمانية الأمر الذي أثار غضب السلطان محمود الثاني، و ذلك لأن مصر ولاية عثمانية تابعة للباب العالي .

يمكن القول أن سبب المصائب في العلاقات بين الطرفين، كان دور بعض المفسدين الذين سعوا لإحياء الضغائن في صدور رجال الدولتين ، وبث الدسائس بينهم ،[5]

أما فيما يخص، مسألة أن محمد علي باشا يريد إنقاد الدولة العثمانية، فهناك فريق من المؤرخين يقول : بأن محمد علي يرغب في الإستقلال عن الباب العالي، حيث أعطى حكمه

---

* ضريبة الفردة: وهي ضريبة فرضها محمد علي باشا على أهل الشام ، و التي يدفعها الذكور من السكان ، عن كل فرد من سنة 14 سنة ، وحتى سن 60 سنة و التي أوجدتها الدولة العثمانية في وقت الحرب ، و إستحدثتها الإدارة المصرية في مصر، حيث يرجع السبب الذي دفع بمحمد علي لفرض هذه الضريبة، هو حاجته لمواصلة الحرب ضد الدولة العثمانية ، للمزيد أنظر : هدى علي بلال : الصراع العثماني المصري على بلاد الشام و الموقف الدولي منه، المرجع السابق، ص351.

(1) هدى علي بلال ، نفسه ، ص 352 .

(2) عبد الله حنا : الحركات العامة الدمشقية في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر، ط1، دار إبن خلدون، بيروت، لبنان، 1985، ص243.

(3) نفسه ، ص 244 .

(4) عايض بن حزام الروقي : حروب محمد علي باشا في الشام ، المرجع السابق، ص ص367، 369 .

(5) نادية محمود مصطفى: العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي – العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية ج11، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1996، ص246،

في بلاد الشام طابعا عربيا قوميا خاصة و أنه كان يريد الإستقلال بالمنطقة العربية و فصلها تماما عن الدولة العثمانية [1]

و هناك فريق آخر يقول : بأن محمد علي باشا " يريد فعلا " مساندة الدولة العلية، ومن أهم الوثائق التي يستند إليها هذا الإتجاه، خطاب محمد علي باشا لملك فرنسا "لويس فيليب" الذي يبرز فيه ، كيف أن نواياه في مصر ووجوده السياسي ضروري للموازنة الأوروبية، ويقول محمد علي بهذا الصدد : " قصارى أمالي، و مرامي، أنظاري موجهة نحو مساعدتها (أي الدولة العثمانية) على أعدائها، أولا : المحافظة على كل ما ملكته يدي ، المجاهدات العظيمة في سبيل الدفاع عنها ، و ثانيا : أرى أن الشام تصير إذا بقيت في يدي عنصر قوة، أستطيع به وقتئذ مساندة مولاي السلطان، و دولتي العلية مساندة فعلية[2]

حيث نفهم من خطاب "محمد علي " إلى الملك "لويس فيليب" ملك فرنسا، بأنه كان يريد حكم الشام مع حكم مصر في نفس الوقت، وذلك من أجل تدعيم نفوذ مصر من جهة، و خدمة الباب العالي، وحماية المصالح العثمانية من جهة أخرى .

أما بالنسبة "لإتفاقية كوتاهية" تعتبر من أهم الأسباب القوية لتجدد الصراع العثماني المصري على بلاد الشام كما ذكرنا هذه المعاهدة الموقعة بين إبراهيم باشا بالنيابة عن والده، و من البارون "روس" من رجال سفارة فرنسا بالأستانة من قبل تركيا، إلى أن تمت المصادقة عليها من طرف محمد الثاني و محمد علي في 08 أفريل 1833م [3]، حيث شهدت بلاد الشام عدة ثورات إحتجاجا على قساوة حكم محمد علي باشا في الشام و من بين هذه الثورات التي كانت سببا في حرب الشام الثانية :

أ- ثورة نابلس في فلسطين سنة 1834 م :

هذه الثورة قامت بسبب أخطاء الحكومة المصرية في الشام، وقد قدم إبراهيم باشا بنفسه إلى فلسطين لإخضاع ثوار نابلس، و كان تفكير إبراهيم في محله ، لأنه لقي من الثوار كل

---

(1) نادية محمود مصطفى، المرجع السابق، ص 246 .

(2) نفسه، ص 247 .

(3) عبد المنعم الهاشمي : الخلافة العثمانية، ط1، دار إبن حزم للطباعة، بيروت، 2004، ص 456 .

هول ، فضلا عن ذلك فقد إختبرهم بمواقع القتال ، و رأى فيهم أقوى رجال سورية لكنهم قاتلوه و ضايقوه، و لما علم محمد علي باشا بما حل بولده ، أرسل إليه النجدة ولكن في نهاية الأمر تغلب عليهم و أخضعهم ، و قام بأسر زعمائهم(1) .

ب- ثورة النصيرية في تشرين الأول 1834م :

ما فتىء إبراهيم باشا أن قضي على ثورة نابلس * حتى قامت ثورة أخرى و هي ثورة النصيرية ، في الوقت الذي كانت الحكومة المصرية تحدث تغيرات في سوريا ، و لما سمعت الدولة العثمانية بهذه الثورة سرها الأمر كثيرا و رأت أن تغتنم الفرصة ، حيث كان الباعث الحقيقي لقيام هذه الثورة هو تحريض المشايخ في كل مجتمع و نادي ، و يكفي على الشعب السوري المسكين الذي إعتاد الطاعة لزعمائه سببا للإثارة على الحكم المصري(2).

وقد أعلنت النصيرية عصيانها و امتنعت عن دفع الرسوم إلى الحكومة ، فاضطر ت الهيئة الحاكمة إلى الإكثار من الجند في البلاد ، و اقتلاع شوكة العصاة ، فأرسل شريف باشا عصابة من لبنان لإخضاع الثائرين .(3)

بعدما تخلص إبراهيم باشا من إخماد الثورات في فلسطين و كذلك ثورة النصيرية واجه ثورة أخرى و هي ثورة "الدروز الكبرى" و التي سنعرف تفاصيلها .

ج – ثورة الدروز الكبرى :

فقبل الحديث عن هذه الثورة نعرف أولا من هم الدروز وبالتالي ما سبب قيامهم بالثورة ضد علي باشا.

---

(1) سهيل زكار، تاريخ بلاد الشام في القرن التاسع عشر ، المرجع السابق ، ص 154

(*) نابلس : حيث سئل شيخ كبير لماذا سميت نابلس بهذا الإسم ، فقال : إنه كان في فلسطين واد فيه حية و قد إمتنعت و كانت عظيمة جدا و كانوا يسمونها "لس" وذات يوم إحتالوا عليها و قتلوها و إنتزعوا نابها، و جاءوا بها و علقوها على الباب أي باب المدينة و قيل هذا ناب لس، أي ناب الحية ، ثم كثر إستعمالها حتى كتبوها متصلة "نابلس " و هي مدينة مشهورة بأرض فلسطين ، للمزيد أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المصدر السابق ، ص 249 .

(2) سهيل زكار ، المرجع السابق ، ص 176 .

(3) نفسه، ص 177 .

الدروز هي فرقة باطينة تؤله الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله،أخذت عقائدها عن الإسماعلية ،و تعود هذه التسمية الى أوائل القرن الخامس هجري ،نسبة إلى محمد بن إسماعيل الدرزي و الذي يعرف بـ (بنشتكين) الدرزي، ووادي تيم هي منطقة وجود الدروز ، نشأت هده الفرقة في مصر لكنها لم تلبث أن هاجرت إلى الشام [1]

و إسم الدروز كان و لا يزال مثار مناقشات عديدة بين الكتاب و المؤرخين، لأن هؤلاء الأقوام لا يحبون أن يلقبوا بهذا اللقب ، و يطلقون على أنفسهم إسم الموحدين [2]

و من بين الأسباب التي جعلت هؤلاء الدروز * يثورون على إبراهيم باشا،قراره بتجريد أهل الشام من السلاح،لا سيما و أنه في قراره هذا قد إستأثر طائفة النصارى على الدروز ،حين أخذ أسلحة الدروز و قلدها للنصارى، وكان الوجود المصري في الشام في تلك الفترة، قد أوجد معه بذور العداء بين "الدروز و النصارى" و ذلك لكي يتمكن من السيطرة على مقاليد الأمور في الأقاليم،لكنه فتح صفحة جديدة من الصراع بين أهالي الشام [3]

هناك أيضا من يرى أن آل العظم و الشهابي، دخلوا طرفا في مؤامرة عثمانية كانت ترمي إلى إخراج المصريين، و قد نقل خبر هذه المؤامرة إلى إبراهيم باشا، فقام هذا الأخير بإعدام فردوس العظم أما مشايع آل الشهابي " أحمد آغا يوسف " فنجا بنفسه و هرب إلى بيروت لينظم إلى القوات العثمانية هناك [4].

كان "محمد علي باشا " يقوم بكل الوسائل من أجل تجديد الحرب مع الدولة العثمانية فمثلا التجنيد الإجباري. و فرض ضريبة الفردة هي أمور اعتاد محمد علي إصدارها على أهالي مصر و أراد تطبيقها و فرضها على الشعب السوري هذا الأخير الذي لم يقبل مثل هذه

---

(1) أمين سعيد: سيرتي و مذكراتي السياسية (1908 – 1967م) ، تح: عبد الكريم إبراهيم السمك ، ج 1، ط1، الرياض، ص273.

(2) محمد كامل حسين: طائفة الدروز تاريخها و عقائدها، دار المعرفة، مصر، القاهرة، 1962م، ص 08 .

* الدروز : و تعرف أيضا على أنها منطقة جبلية، تقع جنوب شرق دمشق على أطراف البادية، للمزيد أنظر: عبد الله حنا : المرجع السابق، ص 66.

(3) هدى عي بلال، المرجع السابق، ص 350 .

(4) عبد الله حنا، المرجع السابع، ص، 67.

القوانين في بلاده، لأن قبل إحتلال محمد علي الشام كان هذا الشعب معفي تماما من الضرائب، حيث كانت تفرض فقط على غير المسلمين، الأمر الذي أثار حفيظة الشعب السوري و قيامه بتلك الثورات .

ويمكن القول بصفة عامة أن للدسائس العثمانية و بمساعدة بريطانيا التي لها يد في قيام الحرب المصرية العثمانية الثانية ، و تلك الأسباب التي ذكرناها سابقا فتحت صفحة جديدة من الصراع العثماني المصري على بلاد الشام ، هذه الحرب التي قامت مرة أخرى حالت دون تحقيق طموحات علي باشا التوسعية لأن قوات هذا الأخير قد أرهقت و أنهكها التعب الشديد للأسف، في سبيل إخضاع الثوار و القضاء على الثورات التي ظهرت في مختلف أنحاء بلاد الشام .

ومما لا شك فيه أن محمد علي كان يعمل دائما لتوسيع ملكه، حيث كان شديد الإهتمام بأن يتولى إدارة الشام ، وذلك لكي تكون كلمته مسموعة في الشرق و البحر الأبيض المتوسط، ولكن لا تكمل له سعادة بغير الشام، لكن حروبه الثانية لم تعطه فرصة للتوسع من أجل إقامة إمبراطورية إسلامية موحدة .

المبحث الثاني : أحداث "معركة نصيبين " و نتائجها

لقد نجحت إنجلترا في هذه السياسة ألا و هي تحريضها "للباب العالي" ضد محمد علي باشا، كما عقدت مع الدولة العثمانية إتفاقا يخولها كل من لروسيا من حقوق و إمتيازات، و قد إتبع السلطان محمود الثاني أراء الإنجليز و نصائحهم[1] الأمر الذي زاد الوضع سوءا.

---

(1) مصطفى كامل باشا ، المصدر السابق، ص 136 .

و في عام 1839م تأزمت العلاقات بين محمد علي باشا،و السلطان،فقد كان الموقف داخل سوريا يهدد بالإنفجار، أما الموقف الخارجي فكان أكثر خطرا من ذلك [1] .

هنا أدرك محمد علي خطورة الأمر و أن الدول الأوروبية كانت تساعد السلطان،و أن الموقف ليس لصالحه لأن طموحاته التوسعية غير قابلة للتحقيق،فقام بإجراء محادثات مع مبعوث السلطان"صارم أفندي" في مصر و لكنها للأسف باءت بالفشل مما أدى هذا إلى تأزم الأمور أكثر من قبل[2] .

لكن محمد علي لم يطق صبرا على هذه الحال،وأرسل إلى الدول الأوروبية منشورا أعلن فيه رغبته الشديدة عن تجدد الحرب،و أن قيامه بهذا لا يعني أنه سيقدم على عمل عدائي،بل يريد الإستقلال [3].

إلى أن ردود الدول الأوروبية كانت غير مشجعة،و أظهرت هذه الأخيرة إستياءها من مصر،كما شجعت السلطان محمود الثاني للتحرش بمصر،حيث كانت بريطانيا وراء فشل المفاوضات بين مصر و الدولة العثمانية[4] .

وقد توصل سفيرها اللورد "يونسو" إلى عقد معاهدة سنة 1838م بين بريطانيا والدولة العلية ،ومن أهم شروطها ما يلي:إلغاء الاحتكارات في جميع أنحاء السلطنة العثمانية ،وبالتالي كانت هذه المعاهدة تسري على مصر ،على أساس أنها في ذلك الوقت جزءا من الدولة العثمانية ،وذلك كله من أجل إثارة غضب محمد علي ،وإخراجه من مناطق نفوذه وخاصة بلاد الشام [5] .

كما احتج "بامستون" وزير خارجية انجلترا ،على معاهدة "أنكار أسكلسي"،ووقف بالمرصاد أمام "محمد علي" ،وأوضح له أن إنجلترا ستقف ضده إذا قامت الحرب بينه وبين

---

(1) عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق، ص 318 .

(2) محمد سهيل طقوس، المرجع السابق، ص 358 .

(3) إبراهيم فؤاد شرف: فتوحات الجيش المصري في عهد محمد على باشا الكبير، مجلة المدفعية الملكية، القاهرة، نوفمبر، 1949م، ص 10 .

(4) محمد عبد الفتاح أبو الفضل، الصحوة المصرية في عهد محمد علي، المرجع السابق، ص 190 .

(5) عبد الفتاح أبو الفضل ،المرجع السابق ،ص 191.

السلطان ،وقد كان الدافع الأكبر لبامستون "في الأزمة المصرية هو مصالح انجلترا في الشرق[1] .

وهنا أدرك محمد علي باشا أن الحرب واقعة لا محال بينه وبين السلطان العثماني. وكانت معاهدة أنكار أسكلكي هي المعاهدة الفريدة التي عقدتها روسيا ،مع الباب العالي[2].

أ- معركة نصيبين 24 يونيو 1839م

عند الحديث عن معركة "نصيبين" يتبادر إلى الأذهان ما معنى نصيبين؟

نصيبين : بالفتح ثم الكسر ،وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة من الموصل إلى الشام وهي أيضا قرية من قرى حلب وتلها من ناحية حلب ،ونصيبين مدينة على شاطئ الفرات تعرف بنصيبين الروم وبين حران ،ومن قصد بلاد الروم من حران مر بها،أما معركة نصيبين وقعت في قرية نصيبين التي على الطريق الواصل بين "بيرة جك" والإسكندرونة ،وموقعها غربي"بيرة جك"* القائمة على الضفة اليسرى لنهر الفرات وهي غير نصيبين التي بالجزيرة ،ووقعت هذه المعركة بالقرب من هذه القرية[3] فقبل وقوع معركة نصيبين، قام محمد علي بتدريب القوات المصرية على أيدي ضباط أوروبيين ،بينما قام ابنه إبراهيم باشا بتحصين حدود دولته هناك ،كما أقام معسكرات وثكنات لجيشه في الشمال ،وأنشأ خطا دفاعيا عند جبال طوروس ،وذلك كله لأنه شعر بالخطط التركية وزحفها نحو الشام[4] .

حيث اتبع أحدث أساليب الهندسة في التحصين ،وبلغ عدد مدافعه حوالي 115 مدفعا وبلغت القوات المصرية في ولاية "أضنة" عشرة ألاف جندي ،ولما شعر الأتراك بكل هذه

---

(1) عمر عبد العزيز عمر :تاريخ أوروبا والمعاصر (1815-1919م)،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية، 2000م،ص99.

(2) عبد الرؤوف سنو : السياسة الروسية إزاء الدولة العثمانية ،ندرة أعمال روسيا وأرثوذكس الشرق ،الجامعة اللبنانية ،1998 م،ص 02.

* بيرة جك: أو بلاجيق ،وتقع بالقرب من الحدود السورية شمال شرق حلب أنظر :محمد فريدبك المحامي ،تاريخ الدولة العثمانية العلية ،المصدر السابق ،ص 453.

(3) ياقوت الحموي، المصدرالسابق ص 289 .

(4) عايض بن خزام الروقي ،المرجع السابق ،ص 370 .

التحصينات المنيعة ،قرروا صرف النظر عن محاولة اجتياز هذه المضايق واستبدلوا خطتهم بالزحف من جهات "أورفا" وديار بكر حيث لا تفصلها عن الشام أي جبال وعرة[1] .

ولما علم إبراهيم باشا بخطة الدولة العثمانية ،قام بحشد معظم قواته حول مدينة حلب ، انتظارا لتقديم القوات العثمانية عن هذه الطريق ،ورابطت طلائع القوات المصرية في عينتاب * القريبة من الحدود التركية [2] أما بالنسبة لتحركات الجيش العثماني ،قامت قوة تركية تحت قيادة إسماعيل باشا بعبور الفرات وذلك يوم 21 أفريل 1839 ،واخذ إبراهيم باشا يقوم بحشد قواته في حلب ،وأرسل طلائع من الفرسان لأجل الاكتشاف ،وانتظارا للمدد التي ستصله من والدة محمد علي باشا من مصر ،حيث تجمعت قوات الجيش العثماني في قرية"نصيبين"[3] . **

ولقد قام "حافظ باشا" وهو القائد العام للجيش التركي بالزحف حول مدينة عينتاب واجتاز جزء من قواته نهر"الساجور" من منطقة الحدود التركية السورية ،وقد تخطت بذلك هذه القوة العثمانية الحدود المرسومة حسب اتفاقية كوتاهية ،واحتلت قرية "تل باشر" السورية ،بعد أن قتلوا واسروا عددا من رجال حاميتها المصرية [4] .

ولما علم إبراهيم باشا بما حل بالقرية السورية "تل باشر" أمر بالتوجه إليها في الحال ولكن مع الأسف قام الأتراك بإخلاء مواقعهم قبل أن يصل إليها إبراهيم باشا وكان مع الأسف قام الأتراك بإخلاء مواقعهم قبل أن يصل إليها إبراهيم باشا وكان ذلك في 3 يونيو 1839 ،كما احتلت القوات العثمانية مدينة "عينتاب" بعد أن احتلتها الحامية المصرية ،وفي تلك الأحداث ،وصلت أوامر من محمد علي باشا يأمر فيها ابنه إبراهيم بضرورة سحق الجيش

---

(1) محمد عبد الفتاح أبو الفضل ، المرجع السابق، ص 196.

(*) عينتاب :هي بلدة تقع جنوب تركيا ،إحتلتها القوات البريطانية سنة 1919 ثم القوات الفرنسية من نفس السنة ،لكن الأتراك حاصروا البلدة سنة 1920 ،للمزيد أنظر :ميشال إسطافان :تاريخ الطوابع، سوريا أيام الانتداب ،مجلة تاريخ العرب والعالم ،دار العربية ،ع10، بيروت ،1979 ،ص 93.

(2) عبد الفتاح أبو الفضل ، المرجع السابق، ص197 .

(3) نفسه، ص 198 .

(**) وتعرف نصيبين عادة في كتب الغرب باسم "نزيب" Nizip.

(4) عبد الفتاح أبو الفضل ، المرجع السابق، ص 199 .

العثماني لأنهم لم يلتزموا بالعهود ،فاخذ إبراهيم باشا يعد العدة لمهاجمة الجيش العثماني الموجود في "نصيبين"[1] .

أما فيما يخص تعداد الجيشان ،فقد كان الجيش العثماني يتألف من 38 ألف مقاتل ويحتل مواقع حصينة ،ولم ينقصه أي شيء ،وكان على رأسه فريقا من الضباط الألمان وعلى رأسهم القائد الشهير البارون "دي مولتك" الذي انتصر على الفرنسيين في الحرب السبعينية وكانوا يرافقون القواد الأتراك ،وهم الذين تولوا تحصين "نصيبين" ،ولو أن الأمر ترك كله للقواد الألمان كما يذكر عبد الرحمن الرافعي لكان الحظ في هذه المعركة متراوحا بين الجيشين ،ولكن حافظ باشا لم يعمل بنصائح البارون ،أثناء القتال ،فدارت الدائرة على الجيش العثماني [2] .

أما بالنسبة للجيش المصري فكان عدده أربعين ألف مقاتل ،فالجيشان كانا متقاربين من جهة العدد ،لكن الجيش المصري يفوق جيش العثماني في النظام وبراعة القيادة [3] . هذا فضلا عن أن الجيش المصري كان مؤلفا من المصريين فقط ،أما الجيش العثماني فقد كان خليط من الأتراك والأوروبيين ،وقد أعلن السلطان محمود الثاني في يوم 08 يونيو أن محمد علي باشا ما هو إلا خائن في نظره[4] .

هنا تتوضح لنا صورة المؤامرة التي قامت بها بريطانيا في إقناع السلطان العثماني بخوض تلك الحرب ،وأنها ستقف إلى جانب الدولة العثمانية ضد أي خطر قد يهددها أو يمسها .

فكر إبراهيم باشا بأن يتبع خطة الهجوم في " واقعة نصيبين "،فنظم الجيش المصري مشاة وركبانا ،وقد تحرك يوم 20 يونيو سنة 1839 ،صوب قرية "مزار" ليتخذها قاعدة للهجوم ،حيث تقع هذه القرية جنوبي "نصيبين" على ساعتين من معسكر الجيش العثماني

---

(1) عبد الرحمن الرافعي ،عصر محمد علي ، المرجع السابق، ص 276 .

(2) نفسه، ص 277.

(3) نفسه، ص 278.

(4) عمر عبد العزيز عمر، المصدر السابق، ص 318 .

،فلما وصل إبراهيم إلى القرية التي اتخذها قاعدة للهجوم ،لم يلق مقاومة في احتلالها لأن الحامية التركية كانت قد أخلتها وانسحبت جيوشها إلى "نصيبين"[1] .

وفي اليوم التالي 21 يونيو ،استقر رأي إبراهيم باشا على اكتشاف مواقع الأتراك وذلك لمعرفة الجهة الضعيفة للأتراك فيهاجمهم فيها ،ولكن رأى فيما بعد أن خير وسيلة يتبعها هي الدوران حول مواقع الأتراك ليهاجمهم من الخلف ،وفي يوم 22 يونيو شرع إبراهيم بتنفيذ خطته ،واخذ ينسحب من مواقعه استعدادا لحركة الالتفاف [2] .أما خطة الأتراك فاستقرت على أن يهاجم حافظ باشا وقواته المصريين أثناء حركة الالتفاف ،ولكن هذا الأخير رفض خطة البارون 'دي مولتك' وآبى حافظ باشا أن يغادر هو وقواته مواقعهم ،ويغامر بقواته في مهاجمة الجيش المصري ،في العراء وفي سهل مكشوف ،فقام إبراهيم باشا بتنفيذ خطته ألا وهي حركة الالتفاف وسار نحو مواقع العدو بنصيبين[3] .

وفي صبيحة 24 يونيو 1839 ،بدأت المعركة طبقا لخطة الهجوم التي رسمها إبراهيم باشا ،حيث كان الجناح الأيمن للجيش التركي ،أما الجناح الأيسر فكان يمتد إلى "نصيبين" فرأى إبراهيم باشا أن نقطة الضعف إنما تكون في هذه الناحية ،فقرر مهاجمة الجناح الأيسر ،وأمر بتقدم الصفوف المصرية لتنفيذ هذه الخطة [4] .

لقد كان هناك خطر كبير على الجيش المصري، وبقي حافظ باشا هو وجيوشه في مكانه لم يتحرك، وصمم أن يدخر قوته إلى أن يهاجمه المصريون ،وترك الجيش المصري ينتقل إلى مواقعه الجديدة ،فحين رتب إبراهيم باشا خطة الانتقال و الهجوم بدقة وإحكام ،وخطته بطبيعة الحال ،وقد أثارت هذه الدقة إعجاب الضباط الأوروبيين الذين كانوا في

(1) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص 275.

(2) نفسه، ص 276 .

(3) ميخائيل مشاقة، المشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان ، المصدر السابق، ص113.

(4) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص 288.

معسكر الجيش التركي في تلك الليلة ،وشهدوا بأن حركات الجيش المصري كانت تسير طبقا لخطط الجيوش الأوروبية المدربة على أرقى فنون القتال.(1)

والدليل على براعة إبراهيم باشا في وضع الخطط الحربية ،أنه رأى أكمة عالية تجاه ميسرة الأتراك الذين أهملوها ولم ينتبهوا إليها ،فأمر لفوره سليمان باشا الفرنساوي الذي كان على ميمنة الجيش المصري باحتلال تلك الأكمة ،ونصبوا عليها المدافع ،فانكشفت أمام نيرانها مواقع الترك ،وكانت هذه الحركة من إبراهيم باشا مفتاح النصر في "واقعة نصيبين" ،وقد تنبه الترك إلى خطئهم في إهمال تلك الأكمة ،وحاولوا أن يحتلوها لكنهم عجزوا (2) .

ولما اكتمل الجيش المصري بقيادة إبراهيم باشا بإطلاق المدافع على ميسرة الأتراك والهجوم عليهم ،تلقى هنا الترك الهجوم بثبات وشجاعة ،حيث اشتد الضرب بالمدافع والبنادق بين الفريقين (3) .

وفي غضون تلك الأحداث ،أرسل محمد علي باشا المدد لابنه إبراهيم ،كما قام السلطان العثماني أيضا بتكثير العساكر من اجل فوز جيشه في المعركة (4)، ووقعت معركة دامية بين الطرفين حيث قام إبراهيم باشا بضرب العدو بالمدفعية فاخذ الأتراك يفرون من قلب المعركة ،واحتل الجيش المصري مواقعهم ،وقد تلقى الجيش العثماني ضربات عنيفة ،وكان يوم 24 يونيو 1839م يوم حقق فيه إبراهيم باشا النصر على السلطان العثماني في واقعة "نصيبين" (5) .

وهذا يرجع إلى ذكاء وحنكة إبراهيم باشا في تسيير الأمور وقد أخذ بتعليمات أبيه أيضا .

---

(1) نفسه، ص289 .

(2) عايض بن خزام الروقي،المرجع السابق، ص 382.

(3) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص290.

(4) إبراهيم بك حليم : التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية ،ط 1، مؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت ،لبنان ، 1988م، ص215.

(5) جرانت وهارولد تمبرلي :أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ،(1789 -1950) ،تر: بهاء فهمي ،مؤسسة سجل العرب ، 2001 ،ص 411.

لقد تمكن إبراهيم باشا من إلحاق الهزيمة بالعثمانيين وهزمهم شر الهزيمة الأمر الذي أثار الدول الأوروبية [1].

فبعد هذه الواقعة بأسبوع توفي محمود الثاني، ولم تكن قد وصلته بعد أخبار الهزيمة ذلك لعدم وجود الأسلاك البرقية، وقد تولى العرش من بعده ابنه السلطان عبد المجيد خان.*[2]

وقد أصبحت الدولة العثمانية في أيام ضعفها بعد وفاة السلطان، زد على ذلك الهزيمة النكراء التي تلقتها على يد" إبراهيم باشا " الذي حقق انتصارا باهرا بالفعل.
حيث أن من الأخطاء الجسيمة التي ارتكبها محمود الثاني ،إنما تتمثل في مماشاته للسياسية الأوروبية للقضاء على الحكم المصري في بلاد الشام ،لأن ذلك أدى إلى القضاء على أول وحدة إسلامية عربية بين مصر وبلاد الشام في التاريخ الحديث [3] .

ب- نتائج معركة نصيبين :

إن قوة الجيش المصري ،وحسن تدبير إبراهيم باشا قد حسم المعركة لصالحه ،وبالفعل حقق انتصارا باهرا على الدولة العثمانية ،ومن بين النتائج التي خلفتها معركة نصيبين ما يلي :

- ✓ كبدت هذه المعركة الجيش العثماني خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات ،بالرغم من الشجاعة والبسالة التي أبداها الجيش العثماني ،ومقدرة فائقة في ارض المعركة [4] ،وقد أشار عبد الرحمن الرافعي إلى نتائج واقعة نصيبين بأن خسائر الجيش العثماني قد وصلت نحو أربعة آلاف قتيل وجريح ،وكان من بينهم بعض القواد والضباط [5] .

---

(1) حسين فوزي: سندباد مصري، ط3 ،دار المعارف ،النيل ،القاهرة ،1119م، ص384.

* عبد المجيد خان : ولد عبد المجيد سنة 1237 هـ ،و هو إبن السلطان محمود الثاني ،تولى الحكم في الدولة العثمانية بعد وفاة والده عام 1255 هـ ،وكان عمره 17 عاما ، فقام في أول عمل له بإنشاء خط كلخانة ،المعروف بحركة التنظيمات العثمانية وأبرمت في عهده عدة معاهدات وعاجلته المنية وتوفي عام 1861م للمزيد أنظر :محمد خير فلاحة:الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد ، ص67، نقلا عن :.www.smart10.com

(2) مصطفى كامل باشا ،المصدر السابق، ص 139 .

(3) حسان حلاق: تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث والمعاصر، ط1 ،دار النهضة العربية ،بيروت، 2000م ،ص 39.

(4) عايظ بن خزام الروقي ،المرجع السابق، ص 382.

(5) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص280.

- ✓ كما أسرت القوات المصرية العديد من رجال الجيش العثماني حوالي خمسة عشر ألف رجل بسلاحهم [1] .
- ✓ استولى المصريون على نحو عشرين ألف بندقية 44 مدفعا ،بالإضافة إلى 30 مدفع في حصن "بيرة جك" وكذلك استولوا على خزانة الجيش التي لم يتمكن الترك من أخذها عند الهزيمة ،أما بالنسبة للجيش المصري فقد بلغت خسائره نحو أربعة آلاف بين قتيل وجريح [2] ،وبالطبع هي خسارة عظيمة ،ولكنها كانت فداء من جانب المصريين الذين أبدو شجاعتهم في ميدان المعركة .
- ✓ أما من الوجهة السياسية فقد حفظت هذه المعركة الحاسمة استقلال مصر ،وكانت لها بمثابة السياج الذي صانه من الخطر ،وقد كان وقع هذه المعركة أليما جدا على الدولة العثمانية لأنها خاتمة الهزائم التي لحقت بجيوشها [3] .
- ✓ أصبحت الدولة العثمانية بلا جيش ولا أسطول ولا سلطان ،وكاد الأمر يتحول إلى انهيار الدولة العثمانية ،لولا وقوف الدول الأوروبية إلى جانب السلطان الجديد عبد المجيد خان[4].

وقد حل بالعثمانيين بعد هذه الهزيمة النكراء، كارثتان كبيرتان كانت الأولى هي وفاة السلطان محمود الثاني قبل أن تصل إليه أخبار الهزيمة، وخلفه ابنه السلطان عبد المجيد خان سنة (1839م- 1860م)، الذي كان يبلغ من العمر سبعة عشر عاما، ولم تكن له أي دراية بشؤون الحكم، والثانية هي خيانة الأسطول العثماني، حيث عهد عبد المجيد إلى فوزي باشا قائد الأسطول العثماني أن يعود بأسطوله، و في الوقت نفسه عين خسرو باشا صدرا أعظم، و الذي كان بينه و بين فوزي باشا عداء قديم، فاعتبر فوزي استدعاؤه مؤامرة من خسرو باشا وتولته الوساوس [5]، حيث كان فوزي باشا قلقا على مركزه بعد موت السلطان،

(1) جرانت وهارولد تمبرلي، المرجع السابق، ص 412.

(2) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص 413.

(3) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص 414.

(4) عبد العزيز سليمان: تاريخ الشعوب الإسلامية ،دار الفكر العربي ،الإسكندرية ،ص 164.

(5) عمر الإسكندري سليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، المرجع السابق، ص ص 172، 173.

وظن أن استدعاءه إلى الأستانة لم يكن إلا لعزله أو لقتله، حيث نصحه و كيله عثمان باشا أن يلتجئ إلى محمد علي خصم خسرو باشا القديم و يسلمه الأسطول التركي[1].

فأخذ فوزي باشا بهذه النصيحة التي تحتوي في ذاتها على الخيانة، ولما وصل هذا الأخير إلى العمارة، أرسل وكيله إلى "محمد علي" بمصر يخبره ماذا قرر بشأن الأسطول، فابتهج محمد علي كثيرا بهذه الفرصة السعيدة[2].

ونفهم من خلال هذا الكلام بأن الأسطول العثماني قام بخيانة عظمى أودت بالدولة العثمانية إلى مهب الريح، زد على ذلك أنها أصبحت تحت رحمة " محمد علي" حيث يعتبر تسليم الأسطول عقب تلك الواقعة ألا وهي "واقعة نصيبين" من أكبر الكوارث التي أصابت الدولة العثمانية في أسطولها، وجيشها و الأهم من ذلك في سلطانها.

أما إبراهيم باشا فإنه استمر في تقدمه عقب انتصاره، واحتل " بيرة جاك" على ضفة الفرات اليسرى، ثم عينتاب، ومرعش، و أورقه[3].

لقد ذكرنا أن انتصار الجيش المصري في "معركة نصيبين" قد حرك مواقف الدول الأوروبية وهذا ليس تضامنا مع الدولة العثمانية، بل من أجل أطماع الدول ورغباتها وقد كان موقف الدول الكبرى كما يلي:

- روسيا:

فروسيا انتهزت هذه الفرصة، ألا وهي هزيمة الدولة العثمانية وذلك لبسط حمايتها الفعلية عليها بحجة الدفاع عنها[4].

كما خشيت روسيا من تطور الموقف محليا، ومن قيام حركات العصيان، والثورات في اسطنبول، ورأت أيضا في حركة محمد علي باشا خروجا عن الشرع، كما رأت انتصار الجيش المصري في "معركة نصيبين"، تفوقا لسياسة فرنسا ومصالحها في الشرق[1].

---

(1) نفسه، ص174.

(2) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص282.

(3) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص283.

(4) نفسه، ص286.

ويمكن القول أن التقدم الذي حققه محمد علي على الدولة العثمانية في نصيبين قد جعل روسيا بشكل خاص، تتخوف من هذا الانتصار، وتخشى من وقوع المضائق في قبضة محمد علي مما يشكل خطرا على مصالحها في الدولة العثمانية، وأن روسيا تعمل بأقصى جهدها لكي لا تقوم دولة قوية على حدودها الجنوبية تسير ضمن الركب الغربي، تستطيع أن تشكل خطرا حقيقيا على أطماعها التوسعية نحو المياه الدافئة في الجنوب(2).

- فرنسا:

أما بالنسبة لموقف فرنسا كانت تميل إلى إقرار محمد علي باشا على سوريا وجزيرة العرب، طبقا لإتفاق كوتاهية، ولما أدت إليه معركة نصيبين (3).لكن بريطانيا عرفت كيف تقنع فرنسا و أصبحت هذه الأخيرة مؤيدة لبريطانيا مع أطماعها الاستعمارية(4).

- إنجلترا:

لقد كانت إنجلترا متخوفة جدا من انتصار الجيش المصري في واقعة نصيبين لأن روسيا ستقوم بتطبيق بنود معاهدة " خنكار أسكلسي" المبرمة بينهما وبين الدولة العثمانية.

ويذهب البعض من المؤرخين إلى أن إنجلترا هي التي أثارت حرب "الشام الثانية" والدليل على ذلك ما قاله اللورد بالمرستون * " إن مصلحتنا أن يسترد السلطان سوريا بل ومصر" (5) كما أعلنت عداءها لمصر و إخضاع محمد علي بالقوة، و أخذت تؤلب الدول الأخرى على مصر، وكانت إنجلترا تقوم بكل هذا من أجل إضعاف محمد علي لأن امتداد نفوذ مصر في البلاد السورية يجعلها دولة بحرية قوية من دول البحر الأبيض المتوسط، وكانت أيضا

---

(1) غالب عبد أحمد الغربيات و خالد حامد طاهر شنيكات: الموقف الروسي من التدخل المصري في بلاد الشام(1831م- 1841م)، مجلة دراسات تاريخية، ع17، الأردن، 2012م، ص398.

(2) غالب عبد أحمد الغربيات و خالد حامد طاهر شنيكات، المرجع السابق، ص399.

(3) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص276.

(4) عبد الفتاح أبو الفضل، المرجع السابق، ص207.

* بالمرستون: هو رجل دولة انجليزي، اتمم دراسته في جامعة كم بريدج، دافع عن سياسة بلاده ضد فرنسا، طوال أربعين عاما، وكانت مقاومته لمحمد علي باشا هي السبب الرئيسي، في احباط مخططات محمد علي و مشاريعه، للمزيد أنظر: بسام العسلي، فن الحرب الاسلامي في العهد العثماني، المرجع السابق، ص296.

(5) محمد صبري، تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم، المصدر السابق، ص72.

إنجلترا تتمسك باسترداد الأسطول العثماني إلى الباب العالي لأن تحالفه مع الأسطول المصري يجعل مصر قوة بحرية كبيرة تخيف إنجلترا[1].

وقد قامت بكل الوسائل من أجل تقليم أظافر محمد علي باشا و إخضاعه.

فقد أخذت تبث مبادئها و أفكارها بين الدول الأوروبية، و تعمل على انحيازها إلى صف إنجلترا، حيث كان "لبالمرستون" أثر بالغ في تدبير المؤامرة الدولية ضد محمد علي و تأليب الدول الكبرى عليه[2]، هذا ما سنعرفه فيما بعد.

- النمسا و بروسيا:

فبالنسبة للنمسا، لم يكن موقفها يختلف عن باقي الدول الكبرى، حيث عارض مترنيخ الدور المصري منذ بدايته، وذلك حفاظا على الدولة العثمانية، ورفضا لفكرة الاستقلال و الثورة على الحكم الشرعي[3].

كان هذا موقف مترنيخ * الذي يميل إلى الدولة العثمانية واستمرارها، ويرجع هذا الاهتمام بالدولة العثمانية إلى غرضين هما:

الأول: ألا يجعل لروسيا ذريعة التدخل في شؤون الدولة العثمانية، وبسط حمايتها عليها فإن ذلك خطرا على النمسا[4].

أما الثاني: فقد تمثل في أنه كان ينظر إلى قيام محمد علي ضد الباب العالي كثورة الحاكم الرسمي، ومبدأ مترنيخ هنا هو مقاومة الثورات القومية التي يراد منها الخروج عن سلطة الحكومات الرسمية[5].

---

(1) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص288.

(2) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص289.

(3) أمال السبكي: أوربا في القرن التاسع عشر، مكتبة النهضة، القاهرة، 1993، ص207.

* مترنيخ: هو رجل دولة نمساوي، من مواليد كوبلنتز (1859م-1773م)عمل سفير لبلاده في باريس، وبعدها أصبح مستشارا للنمسا، للمزيد أنظر: بسام العسلي، المرجع السابق، ص293.

(4) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص290.

(5) نفسه، ص291.

أما فيما يخص "بروسيا" فلم يكن لها أطماع خاصة في هذه الأزمة، بل كانت ترمي إلى المحافظة على السلم، لكي تجتنب الأخطار التي تنجم عن حرب أوروبية، حيث كان ملكها يكره فرنسا من ناحية وذلك لأسباب قومية وكان يميل إلى السياسة المناقضة لسياسة فرنسا[1].

- الدولة العثمانية:

لقد تولى السلطان عبد المجيد خان عرش السلطة العثمانية وذلك بعد وفاة أبيه السلطان محمود الثاني، وسنه لا يتجاوز السابعة عشر عاما، وتولى زمام الدولة التي لا جيش لها و لا أسطول كما ذكرنا لأن محمد علي قضى عليها تماما.

كان السلطان عبد المجيد الصغير في سن يتمنى أن تعم علاقات سلام وود مع مصر، وذلك من أجل حسم الخلاف بين الدولتين بالحسنى، حيث لم يكد عبد المجيد يعتلي عرش السلطة، حتى أرسل إلى محمد علي مندوبا خاصا وهو" عاكف أفندي" يحمل كتابا من خسرو باشا، يعبر فيه عن عواطف السلطان الودية، نحو محمد علي، ونسيانه لما وقع منه في الماضي، ويخوله ملك مصر الوراثي، ومع أن محمد علي كان لا يثق بحسن نية خسرو باشا، ولو ترك الأمر للحكومة العثمانية وحدها، لرضي بإبرام الصلح على أساس الاعتراف بالاستقلال، أي استقلال مصر وإقرار سلطتها في سوريا و جزيرة العرب[2].

ولكن الدول الأوروبية بطبيعة الحال وخاصة إنجلترا عملت جاهدة على عدم إتمام هذا الصلح.

لقد أدركت الدول الكبرى إذن خطورة النصر المصري، إذ أن الطريق أصبح سهلا بالنسبة لإبراهيم باشا بمتابعة سيره إلى إسطنبول، كما خشيت الدول أيضا من اتخاذ روسيا خطوات مماثلة، مثل التي أقدمت عليها من قبل[3].

---

(1) أمال السبكي، المرجع السابق، ص208.

(2) علي يوسف البلخي، الموقف الدولي من احتلال محمد علي باشا لبلاد الشام، (1831م-1840م)، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، دمشق، 1985م، ص200.

(3) نفسه، ص201.

يمكن القول أن التقدم الذي حققه جيش " محمد علي باشا " على الدولة العثمانية في معركة نصيبين، قد جعل روسيا بشكل خاص و الدول الأوروبية بشكل عام تتخوف من هذا الانتصار.

إن انتصار الجيش المصري في "معركة نصيبين" قد ساعد على سير المسألة المصرية، وهي المرة الثانية التي جذبت اهتمام الدول الأوروبية، وأوقعتهم في الحيرة و الارتباك فالمرة الأولى كما ذكرنا انتصر محمد علي باشا في حمص و بيلان و قونية، والمرة الثانية في نصيبين، وأثار هذا الانتصار " المسألة الشرقية"، فكانت كل دولة من الدول الأوروبية تفكر فقط في أطماعها و مصالحها، وإذ تأملنا جيدا في تاريخ مصر لا نجد تأثيرا سياسيا في الدول الأوروبية مثلما كان له تأثير كبير في معركة نصيبين هذه المعركة التي كانت بمثابة فخر للمصريين وقائدها البطل إبراهيم باشا.

ولو نعود قليلا إلى" اتفاقية كوتاهية" التي كان من أهم شروطها أن تكون مصر شاملة لسوريا، وجزيرة العرب، وإقليم أدنة وجزيرة كريت، لأدركنا فعلا أنها النتيجة الفعلية و الحقيقية " لمعركة نصيبين" وكما نعلم جيدا أن هذه الاتفاقية التي أقرتها الدول الأوربية والتي نادت بوجوب المحافظة عليها، أن الدولة العثمانية أرادت أن تتخلص منها بجميع الوسائل، وهاجمت محمد علي باشا وأجبرته على خوض الحرب، ولكنها لم تنجح بطبيعة الحال، لأن "معركة نصيبين" انتهت بهزيمة الجيش التركي، فالنتيجة العادلة هنا هي أن يطبق اتفاق" كوتاهية" بكل شروطه لأن بلاد الشام أقرب بكثير إلى مصر، لكن تدخل الدول الأوربية وأطماعها التي ليس لها حدود، حالت دون تحقيق ذلك وهذا ما سنعرفه في تفاصيل اتفاقية لندن.

---

* تجدر بنا الإشارة إلى ملاحظة هامة وهي أن محمد علي باشا كان يراهن دائما على مساعدة فرنسا له، في الوقت الذي كان القيصر نيقولا الأول يساعد محمود الثاني،أنظر: جورج فوزي، المصالح الاستعمارية البريطانية و الحفاظ على الإمبراطورية العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، ع 41، دمشق، 1992، ص97.

المبحث الثالث :عقد اتفاقية لندن (1840م).

لما قامت الحرب المصرية الثانية في الشام خلق السلطان العثماني للوزير البريطاني "بالمرستون" فرصة ثمينة لتمزيق معاهدة "هنكار أسكلسي" ومسح أثارها ،وذلك بعقد المؤتمر الأوروبي العام في العاصمة البريطانية لندن والذي ختم بمعاهدة لندن الشهيرة .

لم تفتأ بريطانيا في اتخاذ الإجراءات التي تقلص من نفوذ وطموحات محمد علي ،سواء في شبه الجزيرة العربية أو في الشام ،فأرسلت لها جاسوسا في بلاد الشام ليزرع بذور الشقاق و الفتنة بين الأهالي وأصبح هذا الجاسوس ينتقد حكومة الباشا[1] .

ليكون بذلك عاملا مساعدا في اشتعال نيران الثورة والاضطرابات التي تعيشها الشام من جراء سياسة حكومة الباشا التي تعتبر مسؤولة عن كثير من الاضطرابات والثورات التي تأججت في الشام وزعزعة الأهالي في الوقت الذي سعى فيه البريطانيون إلى كسب ولاء الشهابيين[2].

وقد دعا وزير خارجية الدولة العثمانية ممثلي القوى الأوربية الخمس في الأسيتانة وهي كل من دولة بريطانيا العظمى ،والنمسا ،وفرنسا ،وروسيا ،وبروسيا ،إلى اجتماع في منزله على ضفاف البوسفور في النصف الأخير من شهر ربيع الثاني 1255هـ ،الموافق للثالث من يوليو سنة 1839م ،حيث أكد لهم في هذا الاجتماع احترام السلطان العثماني وتقديره للملوك الذين يمثلونهم ،ورغبته الحارة في تقديره لكل صور التفاهم الطبية التي تربط الباب العالي بحكوماتهم ،ثم أشار بعد ذلك إلى أن السلطان قد قرر بدافع الرغبة في وضع نهاية للكوارث التي تثقل كاهل الشعب السوري من جراء سياسة باشا مصر[3] .

---

(1) سهيل زكار، المرجع السابق، ص 183.

(2) محمد فريد بك المحامي، المصدر السابق، ص 471.

(3) عايض بن خزام الروقي، المرجع السابق، ص 420.

إلا أن تطور الأحداث بعد "معركة نصيبين" وانضمام الأسطول العثماني إلى محمد علي وما أحاط بالدولة العثمانية بأهوال كبيرة بعد أن فقدت هذه الأخيرة سلطانها و جيوشها البرية وسفنها الحربية ،لتصبح عاصمتها مفتوحة الأبواب أمام تابعها القوي محمد علي باشا.

وقد أرسل سفراء كل من فرنسا ،وبريطانيا ،وروسيا ،والنمسا ،وبروسيا مذكرة إلى السلطان العثماني في 25 جمادى الأولى 1255هـ،الموافق ل27 يوليو 1899م يعلنون فيها أن الاتفاق بين دولتهم قد أصبح أمرا واقعا ،وأنهم يدعون الباب العالي إلى عدم إقرار أي صلح في المسألة المصرية إلا بعدما اخذ مرئيات دولتهم بشان ذلك[1].

وبعد ذلك مرت عدة اشهر كانت حافلة بتبادل الآراء والمقترحات التي يطرحها زعماء وسياسة الدول الأوروبية بغية التوصل إلى حل المسالة المصرية التي جزءا من الأزمات التي أصابت الدولة العثمانية .

كانت مذكرة الدول الأوروبية إلى الباب العالي بمثابة إلغاء لنتائج " معركة نصيبين "وكانت أيضا من هذه الناحية انتصارا لوجهة نظر انجلترا ،أما الدولة العثمانية فقد وضعتها المذكرة تحت وصاية الدول ،ففقدت بذلك استقلالها العقلي [2] وهكذا بوصول البارون "برونوف" إلى لندن في أواخر سنة 1255هـ، أواخر سنة 1839م لنقل موافقة حكومته على إعطاء الحرية المطلقة لبريطانيا لاتخاذ ما تراه مناسبا في حل المسالة المصرية ،واستعداد روسيا لغلق المضائق في وجه كل السفن الحربية عندئذ لم يتردد اللورد بالمرستون في استجماع الدول الأوروبية ضد محمد علي وفرنسا أمام الأمر الواقع ،بعد أن وقعت الدول الخمس على معاهدة لندن الشهيرة في 25 جمادى الأولى 1256هـ ،الموافق ل: 15 يوليو 1840م [3] .

---

(1) عايض بن خزام الروقي، المرجع السابق، ص 422.

(2) عبد الرحمن الرافعي ،المصدر السابق ،ص 291.

(3) فاضل بيات: الدولة العثمانية في المجال العربي -دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية أوسط القرن التاسع عشر-ط1، مركز دراستها الوحدة العربية ،بيروت،لبنان، ص 563.

وقد كان للمعاهدة ملحق بتضمن الامتيازات التي تعهد السلطان بتحويلها محمد علي ويعتبر هذا الملحق جزءا من المعاهدة [1] .

ومما سبق ذكره فقد نصت معاهدة لندن على الشروط التالية:

- ✓ أن يخول محمد علي وخلفاؤه حكم مصر وراثيا ،ويكون له مدة حياته حكم المنطقة الجنوبية من سوريا المعروفة بولاية "عكا" (فلسطين) ،بشرط أن يقبل ذلك في مدة لا تتجاوز عشرة أيام من تاريخ تبليغه هذا القرار .
- ✓ أن يقوم بإخلاء جنوده من جزيرة كريت ،وبلاد العرب ،وإقليم أدنة ،وسائر البلاد العثمانية عدا ولاية عكا ،وأن يعيد الدولة العثمانية أسطولها [2].
- ✓ إذا لم يقبل محمد علي باشا هذا القرار في مدة عشرة أيام يحرم الحكم على ولاية عكا ،و يمهل عشرة أيام أخرى لقبول الحكم الوراثي لمصر ،وسحب جنوده من كامل البلاد العثمانية ،فان انقضت هذه المهلة دون قبول تلك الشروط كان للسلطان في حل من حرمانه ولاية مصر .
- ✓ يدفع محمد علي باشا جزية سنوية للباب العالي ،تنتج في نسبتها البلاد التي تعهد إليه إدارتها [3] .
- ✓ تطبق في مصر وفي ولاية عكا المعاهدة التي أبرمتها السلطنة العثمانية وقوانينها الأساسية ،ويتولى محمد علي وخلفاؤه جباية الضرائب باسم السلطان ،كما يتولون الإنفاق على الإدارة العسكرية والمدنية في البلاد التي يحكمونها [4].
- ✓ تعتبر قوات مصر البرية والبحرية جزءا لا يتجزءا من قوات السلطة العثمانية .
- ✓ يتكفل الحلفاء في حالة الرفض محمد علي لتلك الشروط أن يلجئوا إلى وسائل القوة وتعهد انجلترا و النمسا في خلال ذلك أن تتخذ باسم الحلفاء بناء على طلب السلطان كل الوسائل لقطع الموصلات بين مصر وسوريا ،وضع وصول المدد بينها .

---

(1) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص 292.

(2) نفسه، ص 293

(3) نفسه ،ص 294

(4) نفسه ،ص 295

- ✓ أن يكون لانجلترا والنمسا الحق في محاصرة موانئ سوريا بمساعدة بعض من سكان سورية [1].
- ✓ عدم السماح لمراكب روسيا و انجلترا والنمسا حق الدخول إلى البوسفور لحماية استانبول إذا ما تقدمت إليها الجيوش المصرية [2].

واتفقت الأطراف المشاركة في المعاهدة على مساعدة السلطان العثماني عبد المجيد الثاني إذا لم يقبل محمد علي بالشروط المفروضة عليه.

يتبين لنا مما ذكرنا أن الأعمال التي قام بها محمد علي باشا كانت تستهدف كلها تحقيق مطامعه الشخصية ،وقد أثار مهمة على تاريخ مصر ،إذ تحولت مصر في الواقع إلى إيالة شبه مستقلة ،تديرها أسرة محمد علي .

---

(1) غالب عبد احمد وخالد حامد طاهر ،المرجع السابق ،ص 400.
(2) نفسه، ص 401.

الفصل الرابع

نهاية إمبراطورية محمد علي باشا

المبحث الأول : التحالف الأوروبي العثماني ضد "محمد علي"

لقد أثارت انتصارات محمد علي المتتالية الدول الأوروبية ليس عطفا على السلطان أو من أجل بقاء الدولة العثمانية لأنها تحافظ على التوازن الأوروبي كما تدعي هذه الدولة ، و إنما خشية ازدياد نفوذ "محمد علي" و خطورته على التوازن الدولي، و خاصة إنجلترا التي تضايقت من سياسة الباشا المصري، الأمر الذي أدى إلى عقد معاهدة لندن كما ذكرنا، حيث هددت الدول الكبرى محمد علي باستخدام القوة ضده إن لم يقبل هذه الشروط المذكورة في المعاهدة، و لكن هذا الأخير قرر فعلا رفض تلك البنود و ذلك بتشجيع من فرنسا.

لأن فرنسا كانت دائما تؤيد محمد علي و تساعده، و تتطلع إلى أن تفرض حمايتها على مصر، وذلك لمصالحها الخاصة طبعا [(1)]

لكن فرنسا لم تقبل بهذا الإتفاق ضد حليفها لما كان له من الإحترام المتبادل بينهما، و أقل شيء فعلته، أنها قامت بإلقاء الخطب البليغة، و الدفاعية عن محمد علي و أغراضه السياسية [(2)].

فالدول الكبرى لم تشأ أن ترى رجلا قويا و ذكيا مثل محمد علي باشا ليحل محل الدولة العلية عند سقوطها ، فعملت بكل الوسائل المتاحة أمامها، لكي تخرج المصريين من بلاد الشام و لم يهدأ لها بال حتى إنسحبت جيوش إبراهيم باشا من كامل المنطقة .

يمكن القول أن الصراع العثماني المصري على بلاد الشام قد إتخد طابعا إعلاميا ، بعد أن غدى قضية دولية، و ذلك بالترويج الإعلامي الأوروبي لها ، كونها أزمة معقدة أسموها بالمسألة الشرقية ، مع العلم أن أصل المشكلة هو إقليمي بحت بين الدولة العثمانية، وواليها القوي محمد علي باشا[(3)]

و أنه من الطبيعي تسوية تلك الخلافات بين الطرفين دون تدخل القوى الأوروبية[(4)]

---

(1) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، المرجع السابق ، ص 63.

(2) مصطفى كامل باشا ، المسألة الشرقية ، المصدر السابق، ص 05 .

(3) سيار كوكب الجميل : تكوين العرب الحديث (1516–1916)، الموصل ، 1991، ص 287 .

(4) سيار كوكب الجميل، المرجع السابق، ص288.

فقبل الحديث عن التحالف الأوروبي العثماني، تجدر بنا الإشارة إلى ملاحظة هامة و هي لماذا رفض محمد علي بنود معاهدة لندن ؟ .

و لكي نعرف سبب الرفض لهذه المعاهدة يجب علينا أن نحلل شروطها، و بالتالي ما كان علي محمد فعله إزاء هذه الإتفاقية .

عجيب فعلا أمر تلك الدول، لأنها فرضت على "محمد علي" بالقوة قبول تلك الشروط و لكنها لم تفرض عليه بالقوة تطبيق بنود إتفاقية كوتاهية الأمر الذي يؤدي فعلا إلى الحيرة، ففي معاهدة لندن، تعهدت الدول الأوروبية بمساعدة السلطان في إخضاع محمد علي باشا، إذا ما رفض هذا العرض، يخول الباشا المصري حكم مصر وراثيا و حكم ولاية عكا طوال حياته، و أعطي له مهلة عشرة أيام فقط، فإذا لم يقبل تؤخذ "عكا" منه، و ينذر عشرة أيام أخرى لقبول الحكم الوراثي لمصر، على أن يظل تابعا للسلطان، و يجبي الضرائب بإسمه، فإن رفض في تلك الحالة، تصرف الدول الكبرى بما تراه مناسبا، و قد تعهدت إنجلترا و النمسا بقطع المواصلات بين الشام و مصر بكل الوسائل[1].

و لعلنا نلاحظ جيدا في هذه المعاهدة، تعهد الدول بإتخاد وسائل العنف لتنفيذ شروطها على محمد علي باشا في الحالة رفضه لها .

كما تدعي أيضا حماية الدولة العثمانية و حدودها من أي خطر قد يقدم عليه واليها المصري، و هذا يوضح لنا قوة الجيش المصري في تلك الفترة، و إثارة مخاوف الحلفاء، الأمر الذي أدى إلى تكاثف الدول الأوروبية لمواجهة والي تابع للدولة العثمانية .

كما حرمت هذه المعاهدة محمد علي باشا من حكم جزيرة العرب و بلاد الشام و سوريا و إقليم أدنة. [2]

إستمرت إنجلترا في إتباع أسلوبها التآموري في تشجيع الثورات، و التمرد في بلاد الشام و لبنان ضد الحكم المصري، لكي تعطي صورة خاطئة عن الجيش المصري، كما

---

(1) يلماز أوزتونا ، تاريخ الدولة العثمانية، المرجع السابق، ص 39 .

(2) نفسه، ص 40 .

أرسلت الدولة العثمانية مندوبها "رفعت بك " إلى مصر ليبلغ "محمد علي" شروط المعاهدة، حيث وصل في 11 أغسطس 1840م و قام بمقابلة الباشا في 16 أغسطس من نفس السنة و فور وصول "رفعت بك" إلى الإسكندرية إجتمع أولا مع وكلاء الدول المتحالفة، و قام بمقابلة محمد علي في سرايا رأس التين و ذلك يوم 16 أغسطس 1840م، و أبلغه بما إتفق عليه وكلاء الحلفاء، بنبأ المعاهدة و طلب إليه العمل بها [1].

رفض محمد علي بطبيعة الحال تلك الشروط و أعلن للحلفاء أنه سيبقى بالقوة، لأن ما حصل عليه كان بالقوة، كما أمر على عدم خضوعه لرغبة التحالف الأوروبي. كما غضب محمد علي غضبا شديدا لخضوع الدولة العثمانية لإدارة الأجانب، و أقسم "لرفعت بك" بأنه لن يتنازل عن شبر أرض من أملاكه التي فتحتها جيوشه القوية، و ذهب مندوب الدولة العلية لتبليغ خبر رفض الباشا، و طلب منهم أي من الحلفاء تبليغ محمد علي بأنفسهم شروط المعاهدة [2].

في يوم 17 أغسطس قام قنصل إنجلترا، و قنصل روسيا و النمسا، بمقابلة محمد علي و أبلغوه شروط المعاهدة، و هددوه بالحرب في حالة ما إذا رفض تلك الشروط، لكن محمد علي رد عليهم بغضب شديد وأخبرهم بأنه سيزحف نحو الأستانة إذا تجددت الحرب مرة أخرى، ثم إلتفت إلى وكلاء الدول الأربعة و قال : "أتعشم أن ترحلوا مع لرفعت بك". فأجابوا بأنه ليس لديهم تعليمات بمغادرة مراكزهم فرد عليهم محمد علي بأنه فقد الثقة فيهم، و الأصول الصحيحة تقضي في حالة الحرب أن يرحل وكلاء الأعداء عن البلاد[3].

و قد استدعى محمد علي "رفعت بك" مندوب الدولة العثمانية، و عرض عليه العمل على إنهاء الخلاف بينه و بين السلطان العثماني، دون تدخل الدول الأجنبية و قد قرر محمد علي أن يتنازل عن ولاية أدنة، و جزيرة العرب، و يكتفي بحكم مصر الوراثي ، و حكم سوريا مدى حياته، و سلمه كتابا بذلك إلى السلطان، ليتفادى ميعاد العشرة أيام، التي تقضي

---

(1) محمد عبد الفتاح أبو الفضل، الصحوة المصرية في عهد محمد علي، المرجع السابق، ص221.

(2) نفسه، ص 212.

(3) نفسه، ص 213.

بها المعاهدة، و يفتح بابا جديدا للمفاوضة فغادر رفعت بك الإسكندرية متوجها إلى تركيا يحمل معه خطاب الباشا لكي يبلغه للسلطان [1].

تشاور السلطان حول خطاب "محمد علي" و عرضه على الصدر الأعظم و سفراء الدول المتحالفة بالأستانة، لكن إستقر رأيهم على خلع محمد علي من ولاية مصر، و أرسل السلطان فرمانا* إلى محمد علي بالإسكندرية يوم 22 سبتمبر 1840، يبلغه فيه بالرفض و خلعه من منصبه، و في اليوم التالي 23 سبتمبر من نفس السنة غادر وكلاء الدول الأراضي المصرية، و أصبحت مصر في حالة حرب مع الدولة العثمانية و حلفائها مرة أخرى[2].

يتبادر إلى أذهاننا هنا أمر غريب و هو لماذا منعت الدول الكبرى " النمسا، و روسيا، و إنجلترا، و بروسيا الدولة العثمانية من عقد أي إتفاق مع محمد علي، وعدم الصلح بينهما يا ترى؟ .

ذلك عملا على زيادة الخلاف بين السلطان و محمد علي، ليتحقق من خلال ذلك هدفين رئيسيين أولهما :

- ✓ الأول و هو الإبقاء على اضمحلال الدولة العلية و تفككها.
- ✓ و الثاني هو محاولة التخلص من محمد علي و دولته القوية، بعدما أصبح يشكل خطرا على النفوذ الأوروبي بالمنطقة [3]

كانت هذه النوايا الحقيقية و الخفية للدول الأوروبية من وراء عقد إتفاقية لندن، ليس حبا بالدولة العثمانية، إنما من أجل إضمحلالها و سقوطها لكي يتقاسم هؤلاء التركة العثمانية فيما بعد .

و الدليل على ذلك ما قاله مصطفى كامل باشا: ((و لما كانت البلاد الواقعة تحت سلطة الدولة العلية من أجمل البلاد في العالم و أغناها، فقد تاقت نفوس أصحاب الدول

---

(1) محمد عبد الفتاح أبو الفضل، المرجع السابق،ص 213.

(2) نفسه، ص214.

(3) خالد فهمي، كل رجال الباشا، المرجع السابق، ص 380 .

الأوروبية لإخراج الترك من هذه البلاد و تقسيمها بينها، فكانت الدول الأوروبية تحارب الدولة العثمانية، و الإستيلاء عليها جزءا فجزءا، و هذا سبب آخر لعداوة بعض الدول للدولة العلية)). [1]

و قد كانت سياسة بريطانيا في الأول حيال محمد علي، تقوم على أساس التظاهر بالمحافظة على أملاك الدولة العثمانية أمام أطماعه و توسعاته، كما أخذت تعمل على رده إلى حدود مصر حتى لا يكون له من القوة ما يهدد مصالحها التي أخذت تتضح في تلك المنطقة من مناطق الشرق، و ترى في الحد من سلطانه حدا أيضا، لإمتداد النفوذ الفرنسي إلى تلك المنطقة الحساسة [2]

و قد أرادت بريطانيا أن تضع مصر بهذه المعاهدة أمام الأمر الواقع، و أخذت تحرض سكان لبنان على خلع طاعة "محمد علي"، مما بذلته من وسائل لهذا الغرض أن اللورد "بونسبني" و هو سفير بريطانيا في الأستانة، أرسله الميستر ((ريتشارد)) ترجمان السفارة الإنجليزية إلى لبنان، و كان هذا الأخير قد تعلم اللغة العربية، و تجول في أنحاء البلاد من قبل، وقام بإثارة اللبنانيين، و استمال إليه أمراءهم و مشايخهم، واتفقوا على أن يثوروا على محمد علي باشا، و قد إتسع مدى الثورة، فعمت أنحاء لبنان [3]

فالثورة على الحكم المصري في بلاد الشام كما لاحظنا، كانت من عمل الدسائس الإنجليزية التي كانت لها أطماع في أملاك الدولة العثمانية، و حاولت الحفاظ عليها بالقضاء على محمد علي، و دولته القوية لما شكله من خطر على المصالح البريطانية، في البحر الأحمر، و طريق الهند. [4]

حيث قال الدكتور مشاقة و هو من معاصري تلك الحوادث في هذا الصدد :((دخلت سنة 1839م سوريا، و بما أن دوام الحال من المحال شاء ربك تغييرا في البلاد، فجاءها

---

(1) مصطفى كامل باشا، المصدر السابق، ص 05 .

(2) هدى علي بلال، الصراع العثماني المصري على بلاد الشام و الموقف الدولي منه، المرجع السابق،ص347 .

(3) أبو الفضل، المرجع السابق، ص 208 .

(4) برجس حمود البرجس: فلسطين و القدس في التاريخ، دار النشر، الكويت، 1987م، ص 82 .

جاسوس من قبل الدولة السكسونية * و إسمه الحقيقي " ريتشارد دوود"، و كان ترجمانا لقنصل دولته بالأستانة، و أظهر في بادئ الأمر ميلا غريبا إلى تعلم اللغة العربية)) [1]

و لم تنقطع الفتن و الدسائس في لبنان و سوريا، بل ضلت مستمرة خلال الحرب، و رأت إنجلترا في محمد علي باشا عزيمة و قدرة على المقاومة، فقررت تجريد مصر من عمارتها البحرية لكي لا يستطيع الباشا إمداد قواته في الشام بطريقة الصحراء التي تفصل مصر و فلسطين[2]

وقد مر التحالف الأوروبي العثماني بمرحلتين أساسيتين ألا و هما :

- ✓ المرحلة الأولى : و التي بدأت في ماي 1839م، أي قبل إندلاع الحرب مباشرة إلى غاية فيفري 1840م ظهور المعارضة الفرنسية مع الدول الأوروبية .
- ✓ و المرحلة الثانية: و التي بدأت في نوفمبر 1839م بالتعاون الروسي البريطاني و إنتهت بهزيمة مصر عسكريا و تسوية المسألة المصرية 1841م . [3]

و يرجع السبب الرئيسي وراء إقامة التحالف الأوروبي إلى أن فرنسا كانت على إستعداد للتعاون مع حلفائها الأوروبيين لإيجاد تسوية دبلوماسية مقبولة إلا أنها كانت ترفض فكرة إستخدام القوة ضد حليفها، و بالتالي فإن مرحلتي التحالف إرتبطتا بالوجود الفرنسي فيه، من ناحية أخرى إن المرحلة الأولى إعتمدت على التدخل الدبلوماسي بينما إرتبطت المرحلة الثانية بالتدخل العسكري. [4]

و هنا يجب علينا أن نأخذ بعين الإعتبار أن فرنسا لم تتخلى عن موقفها المساند لمحمد علي في أي وقت، أثناء هذا العمل الأوروبي المشترك، فقد إعتقدت أنها قادرة على التحكم في مجريات الأمور [5].

---

(1) ميخائيل مشاقة، المشهد العيان بحوادث سوريا و لبنان، المصدر السابق، ص 126 .

(2) عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، المصدر السابق، ص 296 .

(3) محمد عادل عبد العزيز: إنهيار الخلافة العثمانية و توابعه على مصر، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، 2007م، ص 32. .

(4) محمد علي عبد العزيز، المرجع السابق، ص34 .

(1) محمد علي عبد العزيز، المرجع السابق، ص 35 .

لكن الشيء الذي غاب هنا عن السياسة الفرنسية، هو أن مثل هذا التحالف ضد محمد علي عندما يبدأ فإن إيقافه صعب للغاية، فأهداف الدول الأخرى كانت أكبر من مجرد إنقاذ الدولة العثمانية، فإن ما أبدته فرنسا على أنه عمل وقائي يضمن عدم التدخل الروسي المنفرد، و يحمي الدولة العثمانية، تحول إلى عمل جماعي ضد محمد علي لم تسطع فرنسا الصمود أمامه، و سرعان ما بدأت الدول الأوروبية الكبرى تبلور تحالفها على حساب مصر، و قد كان هذا الأمر متوقعا بل طبيعيا خاصة أن بريطانيا كانت على أتم الإستعداد لإستخدام القوة لوقف تهديدات مصر المستمرة للدولة العثمانية، الذي يبين لنا هنا قوة محمد علي باشا و حنكته السياسية .

و الأغرب من ذلك أن بريطانيا بدأت تطالب فرنسا بالموافقة على قيام التحالف باستخدام القوة ضد محمد علي إذا ما لزم الأمر، و هو ما أدى إلى تدهور العلاقات الفرنسية البريطانية . فأخذت فرنسا تقوم بالمماطلة، و ذلك من أجل كسب الوقت لتفادي أي عمل أوروبي عثماني مشترك، ولكن هيهات أن تقوم الدول الأوروبية بتفويت فرصة ثمينة كهذه (1).

ففرنسا لم تستطيع كسر التحالف الأوروبي لأن ذلك متمسك بتنفيذ شروط معاهدة لندن 1840م.

ومن الأدلة التي تربط محمد علي بفرنسا ،اهتمامه بقناصلها ،حيث أصدر أوامره إلى شريف باشا بضرورة احترامهم ورعايتهم ،وتلبية احتياجاتهم بما تقتضي الصداقة ،وكانت فرنسا أيضا تختار عائلة محمد علي وتعدها من العائلات الكبيرة والشاملة من اجل حمايتها (2) .

وقد قامت فرنسا بالدفاع عن حليفها ،فعلى سبيل المثال أوضح رئيس الوزراء الفرنسي إلى نظيره البريطاني أن بلاده ترغب في حل المسألة الشرقية بالطرق السليمة من أجل الصالح العام ،فهي لم تستحسن المشاريع التي تهدف إلى انتزاع بلاد الشام بالقوة من محمد

---

(2) نفسه، ص 38 .

(2) عبد اللطيف محمد عبد اللطيف: دراسة نقدية وتحليلية للحكم المصري في الشام، كلية السلطة للعلوم الإنسانية، الأردن، ص 20.

علي ،فهي ترى أن السلطان غير قادر الآن على إدارة الأقاليم وهذا الإجراء لا يخدم تركيا ولا يحفظ التوازن في المنطقة إذ يضعف واليا تابعا للسلطان يمكنه أن يساهم في الدفاع عن السلطة ،وليس لدى الدول الأوروبية ذريعة لضرب محمد علي ،واستخدام ثورة جبل لبنان للتدخل أمر مشين [1]. فكما ذكرنا أن فرنسا لم تستطيع ردع التحالف الأوروبي وانه أصبح من الأفضل لها احتواء هذا التحالف سياسيا ،وذلك من خلال طرح أفكار كعدم المساس بولاية محمد علي ،كحاكم ووالي على مصر والسودان ،باعتبار هذا هو أفضل حل يمكن لفرنسا أن تقدمه لحليفها "محمد علي" [2] .

وقد أرسل "لويس فيليب" لقيادات التحالف رسائل جاء في بعضها " أن عزل الوالي المصري من منصبه شأنه أن يعكر صفو التوازن العام .....وأن بلاده على استعداد للمشاركة في أية تدابير مبنية على أساس بقاء كل من السلطان ووالي مصر ...." [3] . ويعترف بفضل فرنسا على أنها هي صاحبة الفضل غير المباشر في وصول محمد علي إلى كرسي الحكم ،وهي الوحيدة أيضا صاحبة الفضل الوحيد في احتفاظه بكرسي الحكم له ولأولاده [4] .

وقد مر التحالف الأوروبي بصعوبات كثيرة من بينها:

- ✓صعوبة التنبؤ بمسير العمل الأوروبي المشترك في ضوء المعارضة الفرنسية .
- ✓ضعف العلاقة بين بريطانيا وروسيا، وهو ما بات يهدد إمكانية إقامة مثل هذا التحالف، ناهيك عن إدارته .
- ✓عدم رضاء روسيا عن فكرة التواجد البحري للدول الأخرى في المضائق التركية .
- ✓تخوف "مترنيخ" من أثار وانعكاسات استخدام القوة ضد مصر داخل القارة الأوروبية [1] .

---

(1) نفسه، ص 28 .

(2) محمد عادل عبد العزيز ، المرجع السابق، ص 39.

(3) نفسه، ص 40.

(4) نفسه، ص 41.

غير أن كل هذه الصعوبات لم تقف بوجه الحلفاء.

وقد كتب بالمرستون رسالة إلى سفارته في باريس ،وأوضح فيها الموقف البريطاني وشرح الأبعاد على الجبهة المصرية العثمانية حيث أشار إلى : " أنه من الواضح حتى الآن أن الحكومة الفرنسية ليست على استعداد لأخذ أية خطوة بمحض إرادتها من اجل العمل العسكري ضد محمد علي لاستعادة الأسطول التركي ،أو فرض أية تدابير يتم الاتفاق عليها بين القوى الخمس ،وأن على فرنسا أن تأخذ خيارها من بين ثلاثة مسارات ،وهي المضي قدما معنا تنفيذا لوعدوها مع أوروبا أو أن تقف مكتوفة الأيدي أو أن تتقدم فورا لتتحالف مع محمد علي لمنعنا نحن والدول الأوروبية الأخرى التي ستنضم إلينا ..... " [2] .

وقد اعترفت فرنسا أن مساندتها لمحمد علي ليست نابعة من كونها مسألة حزبية أو سياسية ،ولكنها مسألة قومية لها ،وهو ما وضع مزيدا من الضغط على مترينخ لقبول فكرة استخدام التحالف للقوة العسكرية ،إذ أن هذا معناه أن الحكومة الفرنسية ستتدخل فورا لصالح محمد علي [3] .

ولكن فيما بعد تغيرت الأمور داخل فرنسا بسبب مشكلات داخلية ،حيث في فيفري 1840م سقطت الحكومة الفرنسية ،وسقط معها "سول" الذي خلفه "تيير" حيث كانت هذه الحكومة أضعف من سابقتها ،فلم يستطيع "تيير" ردع التحالف ،لاسيما بعد الاضطرابات التي واجهت وزارته داخليا ،وهو ما مهد الطريق أمام الدول الأوروبية لقراءة الموقف الفرنسي ،والذي غالبا ما سيجنح للسلم في مواجهة التحالف الأوروبي ضد مصر [4] .

تجدر بنا هنا الإشارة إلى أن "محمد علي" على الرغم من أنه سياسيا ذكيا و محنكا في أمور السياسة والحرب إلا انه لم يدرك صعوبة الموقف الذي وضع نفسه فيه ،فقد اعتقد

---

(1) محمود عبد الستار البدري :المواجهة المصرية الأوروبية في عهد محمد علي ،ط 1 ،دار الشروق ،القاهرة، 2001م، ص 184 .

(2) نفسه، ص 185.

(3) نفسه، ص201.

(4) محمود عبد الستار البدري، المرجع السابق، ص 207.

"الباشا" انه بإمكانه العمل على تفتيت التحالف الأوروبي ضده وذلك بالاعتماد على فرنسا التي كانت تسانده دائما ،غير أن الظروف الأوروبية تغيرت ،وتغيرت معها مواقف الدول الكبرى أيضا ،وقد أتت الرياح بما لا تشتهيه السفن [1] .

وفي 16 تموز 1840م بعث بالمرستون رسالة إلى سفير بلاده لدى "فيينا بوفيل" ،يبين له فيها أن لدى بريطانيا قوة بحرية كبيرة في البحر الأبيض المتوسط وسيتم تحريكها لخدمة أغراض الحلفاء ،والضغط على محمد علي لقبول شروط الاتفاقية ،حيث بدأت عملية كبيرة بين سكان بلاد الشام ،وذلك من أجل إرغام القوات المصرية على الانصياع للمواقف الدولية ،فقدم أسطول بريطاني نمساوي ونزل قبالة شواطئ بيروت ،وقام هذا الأسطول بقصفها وإنزال قوات عثمانية فيها [2] .

المبحث الثاني :نهاية حرب الشام الثانية و وفاة محمد علي.

تطرقنا في المبحث الأول للتحالف الأوروبي العثماني ضد محمد علي ،هذا الوالي القوي الذي تحالفت ضده أربعة دول عظمى لكي تنتهي إمبراطوريته التي رغب فيها منذ زمن طويل .

---

(1) نفسه، ص 209.

(2) جرانت وهارولد تمبرلي، أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين ،المرجع السابق، ص 348،349 .

إن ما زاد في خشية الدول الأوروبية سيطرة الباشا على أهم الطرق التجارية العالمية فخشيت انجلترا على تجارتها في الهند،ولأنه تحكم في شبه جزيرة العرب والبحر الأحمر باختصار ،كان لكل طرف سبب حتى يقف في وجه أطماع وتوسعات محمد علي[1] .

وهناك أمر آخر أيضا جعل الدول الكبرى لا تثق بمحمد علي ،وهو تصريحاته السابقة ،فقد أقر سنة 1838م أنه بعد كل ما عمله من إخضاع " نجد ،وشبه الجزيرة العربية " سياسيا وتجاريا ،يصر على الاستقلال ،فقال : " لا يمكنني أن أرضى بترك ما شيدته من المنافع و المرافق الحيوية بمصر ،طوال هذه السنين ،مما كلفني أموالا طائلة كدور الصناعة البحرية والأسطول والبواخر والمصانع والمدارس المتعددة ،والبعثات والمعاهد العامية التي أنشأتها على النمط الأوروبي والمناجم التي فتحتها في سوريا لاستخراج الفحم والحديد ،والقنوات والطرق التي رسمتها بمصر وسوريا لا يمكنني ترك هذا للفناء في يد الباب العالي ،بعد الموت "[2] .

وقد اجتمعت على الشاطئ السوري وحدات الأساطيل المتحالفة في البحر المتوسط ولحقتها اثنتان وعشرون سفينة حربية كبيرة ،ضم إليها الباب العالي بارجتين ،كان الهدف من حشد هذه القوة شن الهجوم على إبراهيم باشا وإجباره على الانسحاب [3] .كما اجتمع سفراء الدول المتحالفة في اسطنبول ،حيث أقروا بعدم امتثال الباشا المصري للقرارات المقدمة في الموعد المحدد فلا بد من عزله ،فأصدر السلطان قرارا بنقل حكم مصري مؤقتا " لعزل الباشا "، وأقر بعزل محمد علي باشا .

لم ترضى النمسا بفكرة عزل " محمد علي " وتقدمت باقتراح إعادة حقوقه في حكم مصر وأيدتها روسيا في ذلك حتى لا تتصاعد قوة انجلترا في الشرق الأوسط [4] .

---

(1) حلمي محروس إسماعيل :تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى ،السكندرية ،مؤسسة شباب الجامعة ،1997م، ص 185.

(2) محمد رفعت: تاريخ مصر السياسي في الأزمة الحديثة ،القاهرة ،المطبعة الأميرية ،بولاق ، 1934م ، ص174.

(3) نينل ألكسندروفنا دولينا :الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية في الثلاثينات وأربعينيات القرن التاسع عشر ،تر:أنور محمد إبراهيم ،المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ،1999 م، ص117.

(4) نينل ألكسندروفنا دولينا، المرجع السابق، ص 119.

جاء هذا التطور ليجعل بلاد الشام تقف ضد إبراهيم باشا والقوات المصرية ،ثم تحرك الأسطول باتجاه" عكا " التي هي مفتاح فلسطين وقد دمرها الأسطول بغضون ثلاثة أيام وهنا أدرك محمد علي وابنه أن خطوط مواصلاته الخلفية قد أصبحت في خطر وأن لا أمل له بالبقاء في بلاد الشام ،فسارع بالانسحاب وهنا قام السلطان العثماني بإصدار فرمان خلع محمد علي باشا [1] .

وفي تلك الأثناء أتم محمد علي استعداداته الحربية تحسبا لأي طارئ ،في وقت ساءت فيه الأوضاع الداخلية ،فقد هوجمت " صيدا " من قبل القوات البريطانية وتمكنت من إسقاطها وكذلك إسقاط طرابلس في 20 أيلول 1840م[2] ، وتابع الحلفاء تقدمهم باتجاه بيروت ،إذ استسلمت لقوات الحلفاء ،ودخلتها القوات العثمانية [3] .

وفي 4 تشرين الثاني 1840م سقطت "عكا" بأيدي الحلفاء ،وأدى سقوطها إلى انتهاء الوجود المصري في بلاد الشام ،وأمام هذا الواقع المضطرب اضطر" محمد علي " إلى عقد اتفاقية مع القائد البريطاني " نابيير " في تشرين الثاني 1840م ،وقد جاء في هذا الاتفاق ما يلي :

- ✓ إجلاء قوات محمد علي باشا عن إيالات الشام جميعها .
- ✓ إعادة الأسطول العثماني إلى الدولة العثمانية ،مقابل منحه الحكم الوراثي لمصر [4] .
- ✓ تقليص جيشه إلى 18 ألف جندي يخضعون للسلطة العليا للباب العالي .
- ✓ يصبح للسلطان حق تعيين الرتب العسكرية العليا ولم يعد محمد علي يملك حق بناء السفن الحربية [5]

---

(1) جرانت وهارولد تمبرلي ،المرجع السابق، ص349.

(2) هلا سليمان: أثر الحملة المصرية على بلاد الشام (1830م – 1840م)، المؤسسة الحديثة للكتاب ، 2000م ، ص422.

(3) مؤلف مجهول، مذكرات تاريخية ،عن حملة إبراهيم باشا في سوريا ، المصدر السابق، ص128.

(4) غالب أحمد وخالد محمد طاهر ،الموقف الروسي من التدخل المصري في بلاد الشام ، المرجع السابق ،ص402.

(5) نينل ألكسندروفنا دولينا ،المرجع السابق، ص125.

✓ أن تسكك النقود في مصر باسم السلطان وأن تدفع مصر سنويا ثمانين ألف كيس وتطبق القوانين الخاصة بالجمارك العثمانية على مصر [1] .

وقد كان من نتائج التحالف الأوروبي العثماني ضد محمد علي ما يلي :

- انتهى الصراع العثماني المصري بانتصار السلطان عبد المجيد خان [2] .
- اجتماع ممثلو الدول الأوروبية الأربع " بريطانيا ،وروسيا ،والنمسا ،وبروسيا " في مقر السفارة البريطانية لدى استانبول ،وأيدوا فيها التزامهم بمسلك جماعي من جهة السلطان وطلبوا من ه منح محمد علي باشا حكما وراثيا في مصر [3] .
- حصل محمد علي على حق الوراثة لأسرته في مصر ،لكن بالشروط التي عرضها عليه السلطان عدة مرات من قبل ،والتي رفضها محمد علي سابقا .
- بقيت مصر في نطاق الإمبراطورية العثمانية ،لكن حدود سلطة الحكم الذاتي لها تقلصت بشكل ملحوظ .
- نجاح التحالف الأوروبي العثماني في إبعاد فرنسا عن الصراع العثماني المصري مستغلين بذلك التناقضات الفرنسية البريطانية ،حيث في اللحظة التي سحقت فيها قوات محمد علي على أيدي الحلفاء عام 1840م ،اضطرت فرنسا للتخلي عن دعم مصر عسكريا [4] .

وبعد القضاء على آمال محمد علي باشا في بلاد الشام تم إلغاء معاهدة "هنكار أسكلسي" مع روسيا في 13 تموز 1841م ،وتم استبدالها بمعاهدة البوسفور التي وقعت في اسطنبول والتي تنص على :

✓ أن يصبح مضيق البحر الأسود والبحر الأبيض تحت سيطرة الدولة العثمانية.

✓ لا يسمح للسفن الحربية باجتيازها والمرور منها وإليها [5] .

---

(1) عدنان العطار ،الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط ، المرجع السابق ، ص148.

(2) نينل ألكسندروفنا دولينا ،المرجع السابق ، ص126.

(3) غالب أحمد وخالد محمد طاهر، المرجع السابق، ص 403.

(4) نينل ألكسندروفنا دولينا، المرجع السابق، ص127.

(5) غالب أحمد وخالد محمد طاهر، المرجع السابق، ص403.

و قد تمت دعوة فرنسا بعد ذلك للدخول إلى التحالف الأوروبي ،وعقدت اتفاقية لندن الثانية في 13 تموز 1841م بين بريطانيا وفرنسا ،النمسا وبروسيا ،والتي بموجبها استردت الدولة العثمانية بلاد الشام ،وكريت ،والجزيرة العربية ،كما تم تثبيت محمد علي واليا على مصر طوال حياته ،تحت سيادة السلطان العثماني عبد المجيد خان ،كما اتفقت القوى المجتمعة في الاتفاقية على إغلاق البوسفور ،والدردنيل أمام السفن الحربية الأجنبية كافة ،مادامت الإمبراطورية العثمانية في سلام [1] .

يمكن القول باختصار أن المراكب البريطانية والجنود المختلطة من الدول الأوروبية ،التي أنزلت في البر تمكنت من اخذ جميع المدن الواقعة على البحر ،وإخراج المصريين منها ،الأمر الذي دفع بمحمد علي إلى القلق ،وأنه من الصعب مقاومة الدول المتحالفة ،فأصدر أوامره إلى ولده إبراهيم باشا بعدم تعريض جيوشه للقتال والموت بلا فائدة ،فطبق إبراهيم أوامر والده حرفيا وأخذ في الرجوع إلى مصر وقد كان يوم رجوعه في أواسط شهر ديسمبر سنة 1840م ،كما ذكرنا [2] .فالدولة العثمانية التي كانت تسيطر على معظم بلاد العالم ،والتي امتدت فتوحاتها في ثلاث قارات وهي :إفريقيا ،وأوروبا ، واسيا ،وأصبح يطلق عليها فيما بعد اسم الرجل المريض أو المحتضر ،وذلك بعد تدخل الحلفاء في تسيير شؤونها[3] .

وقد انتهت آمال محمد علي باشا والمتمثلة في إنشاء إمبراطورية عربية تتركز في عاصمة القاهرة ،وقد كان مستعدا للتنازل عن أي شيء إلا مصر وبلاد الشام التي رغب فيها بشدة منذ زمن بعيد ،وذلك بعد أن سحقت جيوشه القوات الوهابية في شبه الجزيرة العربية ،بقيادة ابنه إبراهيم باشا ،وكادت أن تقضي على الخلافة بأسرها لو لا تدخل بريطانيا وحلفائها ودعمها للعرش العثماني [4] .

---

(1) نفسه، ص403.

(2) محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العثمانية، المصدر السابق، ص468..

(3) موسى موسى نصر :صفحات مطوية من تاريخ مصر العثمانية ،مكتبة الأسرة ،1998م ،القاهرة ،ص 04.

(4) فيليب حتى :تاريخ العرب ،ط4،دار العلم للملايين ،بيروت ،لبنان ،1991 ،ص 271.

إذا أمعنا النظر جيدا في موقف الجيش المصري في بلاد الشام ،بعد تخلي فرنسا عن محمد علي واتفاق الدول العظمى عليه ،نرى من خلال ذلك أن " الباشا المصري "قد أضحى وحيدا بلا نصير من قبل الدول الأوروبية ،لأن هذه الأخيرة وحدت جهودها واستطاعت أن تنهي ما عرف على الساحة الدولية بالمسألة المصرية.

لقد زالت حكومة محمد علي في بلاد الشام أو بعبارة أخرى طويت صفحة من الحكم المصري في سوريا، و ذلك بإخلاء الجيش المصري عنها، لكن تأثيرها لم يزل مع ذلك الانسحاب و الدليل على ذلك أنها أدخلت أنظمة جديدة للإدارة و القضاء و المالية و الجندية[1] و قد كانت حسنات حكومة محمد علي باشا أكثر من سيئاتها، لأنها وضعت الإدارة و الجباية كما ذكرنا، و رفعت بأيدي أرباب الإقطاعات، و أعطتهم من الخزانة رواتب تكفيهم على حد الكفاية، و كانت حكومة محمد علي من أفضل ما رأت الشام من الحكومات منذ ثلاثة أربعة قرون، و قد كتب "المستر برانت" قنصل بريطانيا في دمشق إلى سفير دولته في الأستانة حيث قال له: لما كانت الإيالة تحت حكم محمد علي باشا عاد الكثير من السكان إلى المدن و القرى، و إلى حراثة الأراضي المهملة، و هذا ما حدث خاصة في حوران و في الأرجاء الواقعة حوالي حمص"[2].

و من **التغيرات الاجتماعية** التي نشأت عن حكم "محمد علي" في بلاد الشام إطلاق الحرية الدينية، و نشر روح الديمقراطية، و إنشاء العلاقة ما بين أفراد الشعب و الحكم مباشرة، و تأليف مجالس الشورى و التي تمثل الشعب بعض التمثيل و التي لها حق النظر في الشؤون المحلية، و قد كان لوجود إبراهيم باشا في الشام تأثير كبير في بساطة المظهر، بعد أن كان كبار البلاد يباهون بالملابس الفاخرة، و المظاهر الخلابة و كثرة الأتباع، كان إبراهيم باشا ميالا بطبعه إلى بساطة المظهر، و الزهد في المعيشة لأن حياته الجندية زادته تمسكا بذلك، زد على ذلك المساواة بين الرعايا على اختلاف الأديان و المذاهب[3].

---

(1) سليمان أبو عز الدين: إبراهيم باشا في سوريا، ص102، نقلا عن: http://www.docvde4.com

(2) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص313.

(3) سليمان أبو عز الدين، المرجع السابق، ص103.

أما بالنسبة **للتأثير العلمي و الأدبي** فلم تقم حكومة محمد علي في الشام بأعمال علمية أو أدبية ذات شأن كبير، فالمدارس التي أنشأتها كانت قليلة العدد و التأثير، و كانت في معظم الأوقات منشغلة في إخماد الثورات التي تقوم هنا و هناك، و مقاومة الدسائس و الاعتداءات الداخلية و الخارجية، على أن قيامها في سوريا مهد السبيل لنهضة علمية و أدبية[1].

كما أن إرسال بعض الشبان في سوريا لتدريس الطب في القطر المصري، و استخدام بعض السوريين في حكومة محمد علي باشا انشأ صلة أدبية دائمة بين القطرين[2].

أما فيما يخص **التأثير الاقتصادي** فمحمد علي كان رجلا عمرانيا طامحا إلى توطيد دعائم ملكه، و كان يعلم بأن العمران دعائم الملك الكبرى، فما قامت به حكومة الباشا المصري من الأعمال الاقتصادية لتنشيط زراعة الكروم، و التوت، و الزيتون، و استخراج المعادن و التي كان من أشهرها معدن الفحم الحجري و الحديد، كما كان لحكومة "محمد علي" تأثير خاص في نهضة بيروت الاقتصادية لأن إقامة المبنى الصحي في بيروت، أوجب على جميع البواخر القادمة إلى الشواطئ السورية بأن ترسو في مياه بيروت، كما أجرت تجارب على زراعة السكر و شجر التين، و تربية دودة القز، غير أنها لم تتمكن من مواصلة هذه الأعمال لأن البلاد كانت في حالة حرب، و الحرب و العمران لا يجتمعان فالانسحاب من بلاد الشام و كان أهلها و مواردها الاقتصادية مفيدين في أثناء تلك الحوادث بمشيئة الحكومة، و بالرغم عما عرف عن محمد علي من الرغبة الشديدة في تنشيط الصناعة، لم تتمكن حكومته من تنفيذ رغبته في سوريا، نظرا لما سبقت إليه الإشارة من اضطراب في الأحوال و انشغالها في الحروب، و إخماد الثورات.

و بالتالي فقد كان **للتأثير الإداري و السياسي** أثر كبير على بلاد الشام، فقد وضع "محمد علي" الأساس لترقية الحكم و القائمين به و الشعب الخاضع له، كما قام بتوزيع

---

(1) نفسه، ص104.
(2) نفسه، ص105.

السلطات الإدارية و القضائية، و جرى في تلك الأثناء تعيين عدد كبير من أهالي البلدة في المناصب المختلفة، فتمرنوا على طرق الحكم الجديدة، و ألفت مجالس الثورة من أبناء المدن، و أكبر نجاح صادفته حكومة محمد علي في سوريا هو إقرار الأمن في مناصبه [1]، كما تمتع الأجانب بالحرية الدينية في فترة الحكم المصري لبلاد الشام، حيث سعت الإدارة المصرية إلى الظهور بمظهر المتسامح مع الجاليات الأوروبية تجنبا للاصطدام مع دولها، كما سمحت الإدارة المصرية بإنشاء قنصليات أوروبية في كل من بيروت و دمشق بالإضافة إلى حلب، و اللاذقية، و مجمل القول أن القناصل تدخلوا في شؤون الحكم المصري بقصد إضعافها و إثبات عدم مقدرتها على إدارة شؤون الحكم في بلاد الشام آنذاك لذلك فالعلاقة بين محمد علي و القناصل كان يشوبها الشك و عدم الثقة بين الطرفين، الأمر الذي كان يخدم الدولة العثمانية بشكل كبير إذ كانت تسعى لإنهاء الحكم المصري في الشام[2].

فاتفاقية لندن لم تكن تهدف للقضاء على حكم محمد علي بل أنها قلمت أظافره في بلاد الشام و شبه جزيرة العرب، و أن هذه المعاهدة هي الوثيقة الأساسية لمركز مصر الدولي، من سنة 1840م إلى غاية نشوب الحرب العالمية الأولى في 1914م، فهي التي حددت مركز مصر و جعلت لها شخصية دولية مستقلة، و رفعت مركزها من ولاية كغيرها لا تختلف عن سائر ولايات الدولة العثمانية، و أن محمد علي قد حقق فعلا في الحرب السورية الأولى انتصارا باهرا انتهى بعقد اتفاقية كوتاهية، و لكن معاهدة لندن و إن تكن، حرمت مصر من ثمرة انتصارها و قيدت استقلالها بقيود شتى[3].

بالرغم من أنها اعترفت بأن لمصر مركزا دوليا مستقلا عن الدولة العثمانية لأنها جعلت حكومتها وراثية في أسرة محمد علي، إلا أنها حرمتها من نشوة انتصاراتها التي حققتها في حرب الشام الأولى و الثانية، و أصبح استقلالها مكفولا بمعاهدة دولية ألا و هي معاهدة لندن، مما يؤكد ظلم الدول المتحالفة على محمد علي و الدليل على ذلك ما قاله "بالمرستون"

---

(1) سليمان أبو عز الدين، المرجع السابق، ص106.

(2) غالب عبد أحمد و خالد حامد طاهر، المرجع السابق، ص403.

(3) عبد الرحمن الرافعي، المصدر السابق، ص322.

إلى سفيره بالأستانة سنة 1839م: "سيتعين على انجلترا في حالة الحرب بين السلطان و محمد علي استخدام القوة ضد الأخير، و ذلك على الرغم مما قد يبدوا عليه هذا الموقف من تحيز و ظلم ضده، و لكننا عرفنا بأننا ظالمون، فالمصالح العليا لأوروبا تحتم علينا أن نكون كذلك"(1) الأمر الذي أدى إلى نجاح الدولة العثمانية في كسب مواقف الدول الأوربية لجانبها في الصراع العثماني المصري، و عملت على إجباره بالقوة للقبول بشروط معاهدة لندن 1840م، و تعهده بسحب قواته من بلاد الشام مع نهاية 1840م لتعود من جديد بلاد الشام ثانية إلى حظيرة الدولة العثمانية.

استعرضنا فيما سبق مآثر حكومة محمد علي باشا في الشام من الناحية الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية، حيث توصلنا إلى أهم نتائج حروب الشام التالية:

- ✓أنها فتحت المجال للتدخل الأوروبي في شؤون الدولة العثمانية، كما زاد من إجهاد الدولة قبل أن تأخذ الفرصة الكاملة لبناء جيوشها الجديدة التي حاول السلطان محمود الثاني إحلالها محل الإنكشارية التي قضى عليها في وقت غير مناسب.

- ✓لم يجد السلطان "عبد المجيد خان" من وسيلة لإيقاف واليه القوي أفضل من الارتماء في أحضان عدوه قيصر روسيا، لأن بريطانيا و فرنسا وقفتا موقفا حياديا آنذاك و توقفت قوات إبراهيم باشا عند كوتاهية، حينما رأت الأساطيل الروسية تتجه نحو الشاطئ الأسيوي للبوسفور(2).

- ✓إن التنظيمات التي قامت بها حكومة "الباشا المصري" في الشام قد أفرزت آثارا مختلفة على تحركات الباشا نحو العراق و شبه الجزيرة العربية من الشام.

---

(1) محمود عبد الستار البدري، المرجع السابق، ص157.

(2) عايض بن خزام الروقي، حروب محمد علي في الشام و أثرها في شبه الجزيرة العربية، المرجع السابق، ص473.

✓و قد اكتشفت طموحات محمد علي من خلال هذه الحروب، حيث اختلف كثير من المؤرخين حولها، فمنهم من اعتبرها مشروعا توسعيا استنزف ثروات البلاد لتحقيق مآرب شخصية، و منهم من اعتبرها مشروعا نهضويا أعاد لمصر دورها الريادي في المنطقة(1).

✓كانت أهداف محمد علي من خلال حرب الشام الأولى و الثانية تنطلق من تحقيق آمال و طموحات ذاتية له في المنطقة العربية التي تشمل شبه الجزيرة العربية و الشام و العراق، إضافة إلى مصر و السودان.

✓كان من أهم مظاهر التأثر و التأثير في حروب الشام هي تلك الأحداث التاريخية التي جاءت في أواخر عهد مؤسس الدولة السعودية الثانية الإمام تركي "عبد الله بن محمد بن سعود" الذي جاء في وقت أصبحت فيه الجزيرة العربية مسرحا للفوضى و السلب و النهب لكي يعيد لها "الإمام الأمن و الاستقرار" (2).

لأن قيام حرب الشام الأولى قد ساعده إلى حد كبير، و لأن القبضة التي كان يطبقها محمد علي في وسط الجزيرة العربية قد خفت نوعا ما، ليتولى الإمام تركي طرد البقية من الحاميات العسكرية التي تركها الباشا المصري حينذاك.

✓ظل الموقف في الشام بعد انتهاء الحروب يؤثر في تطور أحوال الدولة السعودية الثانية لأن حرب الشام الأولى التي خاضها محمد علي ضد الدولة العثمانية قد خففت القبضة العسكرية للباشا، التي يفرضها على شبه الجزيرة العربية و بالذات في وسطها و شرقها، المتمثل في إقليم نجد و الأحساء.

(1) عبد اللطيف محمد عبد اللطيف، دراسة نقدية و تحليلية لمصادر الحكم المصري في الشام، المرجع السابق، ص02.
(2) عايض بن خزام الروقي، المرجع السابق، ص ص 474، 475.

- ✓ لم يعد محمد علي باشا في الجزيرة بنفس القوة العسكرية التي توجه بها إبان حروبه ضد الدولة السعودية الأولى، لأن الأوضاع التي عاشتها حكومته في الشام و الهزيمة التي تلقاها علي أيدي الحلفاء و انسحابه من الشام لا تساعده في التوسع و تحقيق أطماعه(1).

- ✓ أما بالنسبة لشبه الجزيرة العربية فقد امتلأت بالفوضى و الفتن، و الصراعات المحلية إبان انسحاب محمد علي من بلاد الشام، حيث في أعقاب معاهدة لندن 1256هـ/1840م، زاد ذلك من تغلل النمو البريطاني الذي لم تستطع الدولة العثمانية أن تتصدى له، لأنها بلغت مرحلة من الاضطراب مما أدى ذلك إلى عجزها في أن تملأ الفراغ الرهيب الذي تركه انسحاب واليها الجريئ "محمد علي" الذي كان وجوده في بلاد الشام و شبه الجزيرة العربية، يشكل حاجزا لتلك الأطماع الاستعمارية التي تخطط لها بريطانيا في شبه جزيرة العرب(2).

بالرغم من أن الأوضاع في داخل الجزيرة العربية إبان وجود قوات الباشا كانت في أسوء وضع عرفته المنطقة طوال تاريخها الحديث، لأن تلك القوات كانت تتشارك في أعمال السلب و النهب مما زاد الأمر سوءا و الوضع انحطاطا(3).

و في مجمل القول لما استقر محمد علي على حكم الولايات العربية بدأت قوته تبرز بشكل كبير فخشي السلطان العثماني أن تستخدم مصر هذه القوة لإضعاف دعائم دولته بدل بنائها، فكرس السلطان نفسه و سخر كل إمكانياته لوضع حد ما لمحمد علي، فكانت بذلك سياسته التوسعية سببا جعل الباب العالي يقف في وجهه، ليس هذا فحسب، بل إن الدولة الأوروبية وجدت بذلك فرصة ثمينة حتى تتدخل في شؤون مصر و الدولة العلية، لكي تعطيها بذلك فرصة حتى لا تتغير، بالرغم من أن هذه الفترة هي أزهى فترات التغير في التاريخ الأوروبي، و قد قام بقيادة الزعامة الأوروبية إنجلترا في مقاومة المسألة المصرية من

---

(1) عايض بن خزام الروقي، المرجع السابق، ص477.
(2) يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج2، المرجع السابق، ص41.
(3) عايض بن خزام الروقي، المرجع السابق، ص477.

الدول الأوروبية، فوجدت هذه الأخيرة، ضالتها في النزاع القائم بين السلطان و محمد علي حتى تحقق ما تصبوا إليه و هو اقتسام مناطق النفوذ في الدولة العثمانية، كما ذكرنا سابقا [1].

أما فيما يخص وفاة الباشا المصري "محمد علي"، حيث بات الرجل العظيم في شيخوخته مطمئنا على سدته المصرية و على مستقبل أسرته، و كان قد انزوى عن العالم يقضي أيامه تارة في أعماق سريا التين، و لا يعلم ما يجري من حوله من الأمور [2].

حيث اعتلت صحته و أصيب بضعف في قواه العقلية أواخر أيامه، الأمر الذي جعله يبتعد عن الحكم سنة 1848م، و قد ظل على هذه الحالة حتى صيف 1849م حيث غادر مصر القاهرة للمرة الأخيرة و ذهب يستنشق هواء البحر في الإسكندرية، و لكن الأجل المحتوم وافاه في سرايا رأس التين يوم 02 أغسطس، فوضع جسده في وسط قاعة فسيحة و غطي بالأكفان و قام ابنه محمد سعيد باشا يستقبل وفود المعزين، و دفن بالجامع الذي بناه بالقلعة[3].

و هكذا ذهب محمد علي باشا الذي ترك صفحة خالدة في تاريخ مصر الحديث، و الذي جعل مصر تلعب في وقت من الأوقات دور دولة كبرى [4].

---

(1) أحمد عزت عبد الكريم: دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة، بيروت، لبنان، ص270، 271.

(2) السيد فرج، حروب محمد علي، المرجع السابق، ص 17.

(3) نفسه، ص 18.

(4) محمد صبري، تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم، المصدر السابق، ص 79.

الخاتمة

بعد دراستنا لتوسعات محمد علي باشا في بلاد الشام و ما أنجزه خلال فترة حكمه توصلنا الى النتائج التالية:

1 - أن بلاد الشام هي البلاد الواقعة شمال الجزيرة العربية و قد كان العرب قديما يطلقون اسم الشام على جميع أجزاء المنطقة الشمالية من البلاد العربية،و يرتكز في العصر الحديث اسم الشام في مدينة واحدة وهي دمشق، وأحيانا يطلق هذا الاسم على كامل سوريا الحالية، حيث كانت بلاد الشام عبارة عن كتلة واحدة لا تتجزأ عندما فتحها المسلمون، و عندما دخلت في ظل الدولة العثمانية قسمتها هذه الأخيرة الى ولايات تابعة لها.

2 - كانت الأوضاع العامة في بلاد الشام قبل مجيء محمد علي باشا تشوبها الصراعات و الفتن و الثورات و ذلك بسبب سوء الادارة العثمانية فيها، فكان اذا تم اخماد ثورة من طرف العثمانيين إلا و تقوم أخرى في أي منطقة من مناطق الشام.

3 - نجاح محمد علي باشا في بناء دولة كان لها مؤسساتها السياسية، و خططها للمستقبل إذ أوجد توازنا حقيقيا بين الادارة العثمانية و الاستقلال الذاتي المصري، كما حقق استقرارا سياسيا على نطاق واسع أتاح له تنفيذ برامجه في الجانب الاقتصادي و الثقافي و الاجتماعي، و عمل على تطوير آلياته و عناصره العسكرية على النمط الأوروبي و التي خدمته ليس في الدفاع عن وحدة مصر السياسية أمام الدولة العثمانية فحسب و إنما في التوسع الى مناطق عديدة و من بينهما بلاد الشام فالأعمال التي قام بها الباشا المصري هي التي جعلت الكثير من المؤرخين يطلقون عليه اسم مؤسس مصر الحديثة.

4 - لقد شكل القرن التاسع عشر ميلادي مرحلة جديدة في تاريخ العلاقات العثمانية المصرية، التي توجت بضم محمد علي لبلاد الشام، و حكمها أسهم في نجاح حملته التي استمرت حتى عام 1840م ، فقد حاول محمد علي باشا من خلال حروبه مع الدولة العثمانية في الشام اقامة امبراطورية عربية واسعة الأرجاء و ذلك بحكم أن يسيطر على الجزء العربي من الدولة العثمانية، و استنجاد السلطان العثماني بالقوى الأوروبية، طالبا مساعدته ا ضد محمد علي الذي زحف باتجاه الشام.

5 – ان المتتبع لمسار توسعات محمد علي باشا في بلاد الشام خلال السنوات 1831م إلى غاية 1839م يدفعنا إلى اكتشاف البواعث الحقيقية لحملته نحو الشام و التي اختلفت فيها أراء المؤرخين، فمنهم من يرى أنها طبيعية بحكم الامتداد الجغرافي، و الروابط التاريخية و المصالح المشتركة التي جمعت هذين البلدين " مصر و الشام "منذ زمن بعيد، حيث تعتبر الشام بالنسبة لمحمد علي باشا العمق الاستراتيجي لمصر، و جزء لا يتجزأ منها، كما أنه لا يمكننا أن نحكم على هذه الدوافع أو الأسباب التي صاحبت الحملة، لأن الظروف السياسية التي عاشتها مصر آنذاك، و اعتلاء محمد علي باشا الحكم، و طموحاته التوسعية في تكوين امبراطورية واسعة الأرجاء دافعا ملحا لذلك.

– أما الرأي الأخر فكانت وجهة نظره، بأن دوافع هذه الحملة على بلاد الشام لم تكن لأسباب انسانية أو لروابط دينية، و انما لتحقيق مصالح اقتصادية و عسكرية و ذلك باستغلال خيرات البلاد و شعبها، و تسخيرها في تحقيق الطموح الشخصي لمحمد علي.

6 – أما عن الادارة و الحكم في الشام يجدر بنا أن نلقي نظرة عن سلبيات و ايجابيات محمد علي فمن الايجابيات ما يلي:

حيث دخلت بلاد الشام تحت الحكم المصري بعد "صلح كوتاهية"، و صار ابراهيم باشا حاكما عاما على الولايات السورية ممثلا لوالده، فقام بتنظيم أحوال سوريا الادارية و السياسية، و طور مركز مصر في الشام، و قام أيضا بتحصين حدودها الشمالية.

و نلمس التفاتة من ابراهيم باشا الى تنظيم أحوال سوريا، و تدبير أمورها، و الدليل على ذلك أنه قام بإلغاء التقسيمات الادارية العثمانية السابقة، و أقام نظاما اداريا جديدا لحكم الولاية.

7 – حمل الحكم المصري نموذجا اداريا متكاملا، و كان من بين دعائمه انشاء مجالس الشورى، كما تغيرت الحالة العلمية و الثقافية مع قدوم محمد علي باشا الى الشام، حاملا معه نهضة كالتي أوجدها في مصر و نقلها الى الشام.

حيث قام سنة 1835م. بإنشاء مدارس حكومية في المدن الرئيسية، كما شهدت المنطقة استقرارا نسبيا.

8 – أما فيما يخص السلبيات أو بعبارة أخرى أخطاء الحكومة المصرية في الشام نذكر منها:

- تطبيق نظام التجنيد الاجباري في الشام مثلما هو معمول به في مصر، و مما زاد الأمر سوءا و تدهورا،قرار محمد علي باشا بتجريد أهل الشام من السلاح، لاسيما و أنه في قراره هذا قد استأثر طائفة "النصارى" على" الدروز"، و أخذ أسلحة الدروز، و قلدها للنصارى، وبالتالي فتح صفحة جديدة من الصراع بينه و بين أهالي الشام، فضلا عن قوانين الاحتكار و ضريبة الفردة التي يدفعها الذكور من السكان، حيث كان محمد علي قد اعتاد على اصدار مثل هذه القوانين في بلده مصر، لأن مثل تلك الضرائب التي جاء بها الباشا المصري إلى الشام كانت تفرض على غير المسلمين فقط، الأمر الذي زاد الطين بلة، وغضب سكان بلاد الشام و قيامهم بالثورات، لأن طبيعة الشعب السوري كانت رافضة لتلك الأوامر.

9 – كان للدسائس العثمانية و البريطانية شأن كبير في تحريض أهالي الشام على الحكم المصري، و سلبيات محمد علي باشا في الشام. و اعلان استقلاله، كلها كانت أسباب فتحت من جديد صفحة من الصراع العثماني المصري مرة أخرى، أو ما عرف بحرب الشام الثانية.

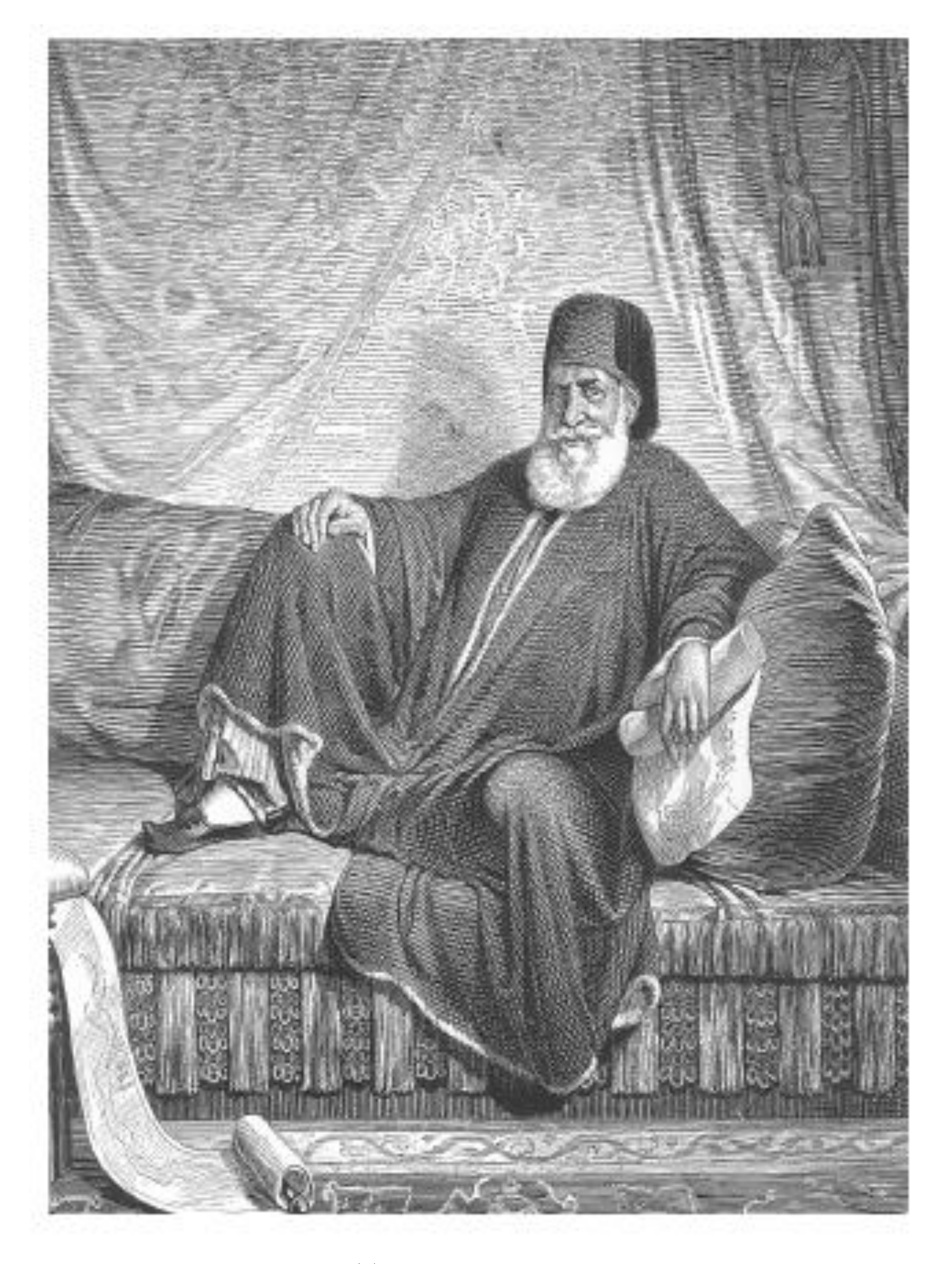
10 –كانت الدول الأوروبية تتحين الفرص للإيقاع بالدولة العثمانية من أجل اقتسام أملاكها، لكنها تظاهرت في البداية بالمحافظة على كيان الدولة العلية، لأنها في حالة ضعفها دون جيش ولا أسطول، كما أن وجود الدولة المصرية بقوتها على الساحة الدولية أصبح يشكل تهديدا لسيادتها، و خطرا على مصالحها،لذلك عملت بكل الوسائل الدولية لإبقاء، مصر خاضعة للسلطة العثمانية. وبعد الانتصارات التي حققها ابراهيم باشا في معركة نصيبين، الأمر الذي حرك مخاوف الدول فأدى بهم ذلك الخوف الى عقد معاهدة لندن 1840م التي نصت على انسحاب محمد علي باشا من بلاد الشام و اعطاءه حكم مصر وراثيا.

11 -كان لهزيمة الجيش العثماني في معركة "نصيبين" سنة 1839م المبرر الكافي لتدخل الدول الأوروبية لجانب السلطان، و مطالبتهم لمحمد علي باشا بالانسحاب من المناطق التي سيطر عليها .كما أنذرته بأن الوقوف ضده أمرا محتما ان رفض شروط معاهدة لندن 1840م، لكن الباشا المصري رفض المعاهدة، مما دفع بالدول الأوربية إلى التحالف ضده، كما تخلت فرنسا عن حليفها الذي لطالما دافعت عنه أمام الدول، فتوحدت الجهود الأوروبية و استطاعت أن تنهي ما عرف على الساحة الدولية بالمسألة المصرية، فانسحب محمد علي باشا من الشام تاركا وراءه حلما كبيرا أراد تحقيقه منذ زمن بعيد الا و هو "ضم الشام الى ملكه"، لكن الدول الأوروبية استطاعت أن ترجع الشام إلى حظيرة الدولة العثمانية.

وفي الأخير يمكننا القول أنه بالرغم من نهاية امبراطورية محمد علي باشا وانسحابه من بلاد الشام بمقتضى الحل الدولي إلا أنه كان بالفعل فخرا للمصريين.

الملاحق

الملحق رقم 01



صورة محمد علي باشا والي مصر [1]

(1) الياس الأيوبي، محمد علي سيرته و أعماله و آثاره، المصدر السابق، ص 02.

الملحق رقم02



صورة ابراهيم باشا بن محمد علي باشا (1)

(1) السيد فرج، حروب محمد علي، المصدر السابق، ص 90.

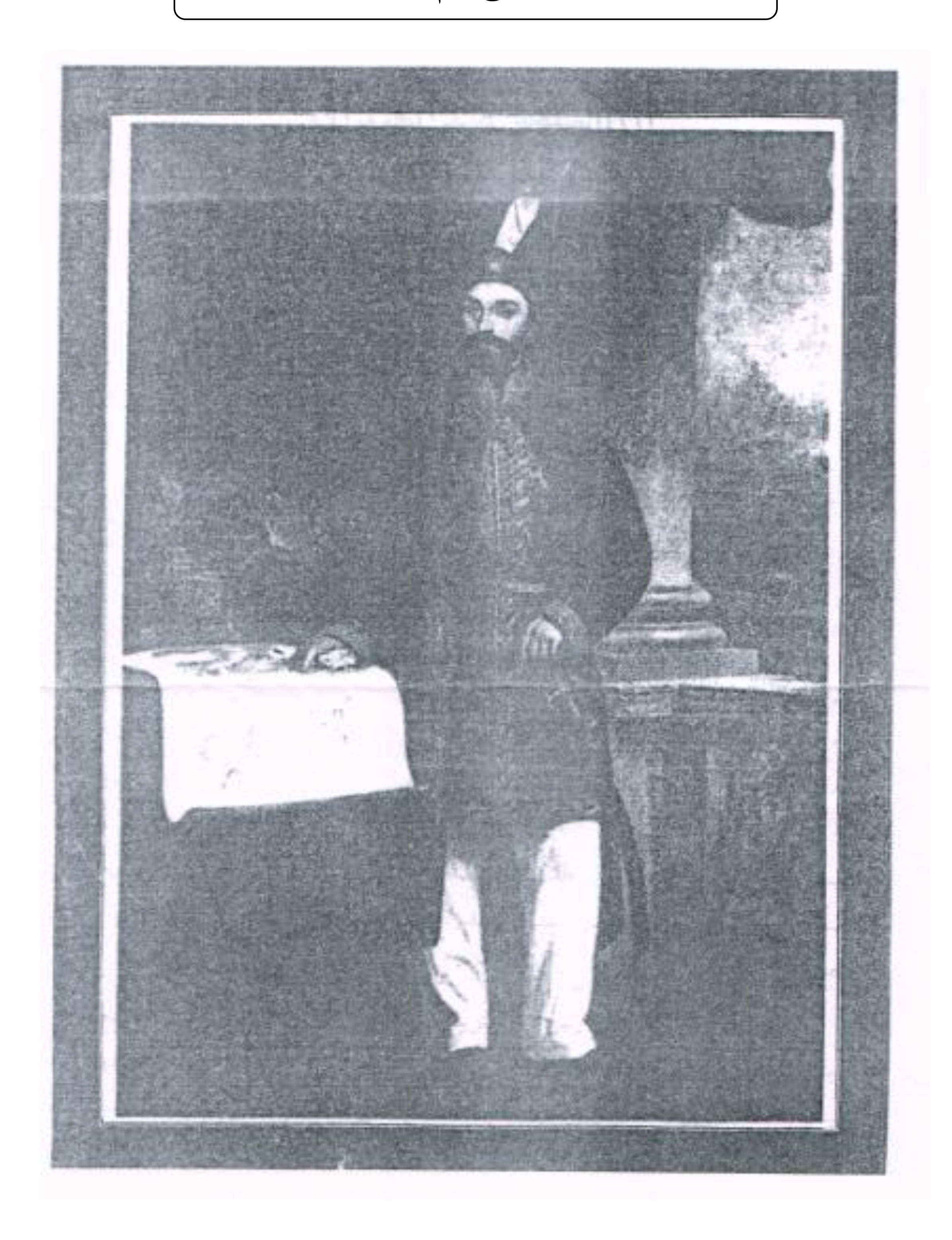
الملحق رقم 03



صورة السلطان محمود الثاني [1]

(1) محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، المصدر السابق، ص 398.

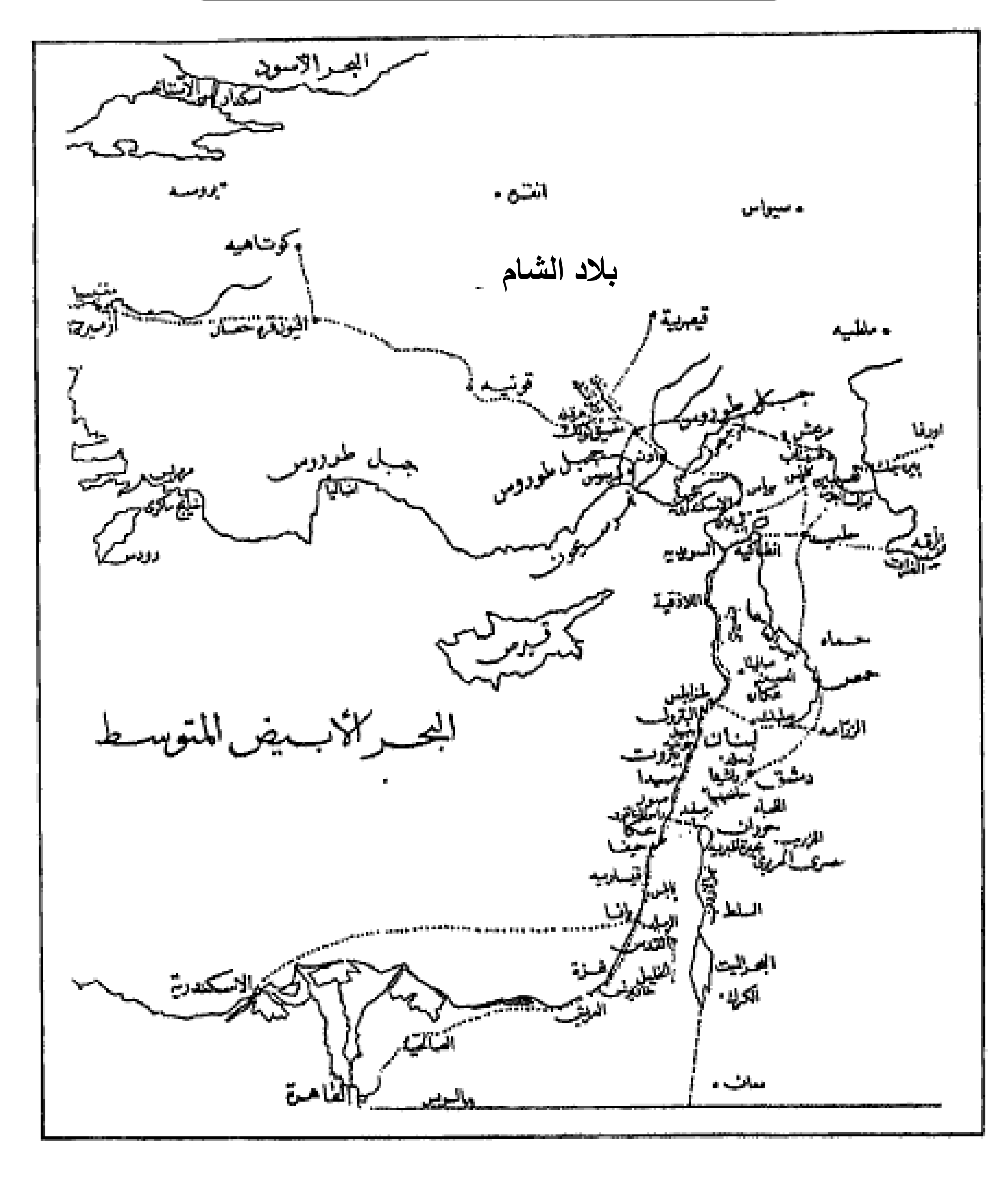
الملحق رقم 04



صورة السلطان عبد المجيد الأول [1]

(1) عدنان العطار، الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط، المرجع السابق، ص 146.

الملحق رقم 05



خريطة توضح الموقع الجغرافي لبلاد الشام [1]

---

(1) لطيفة محمد سالم، الحكم المصري في الشام، المرجع السابق، ص 324.

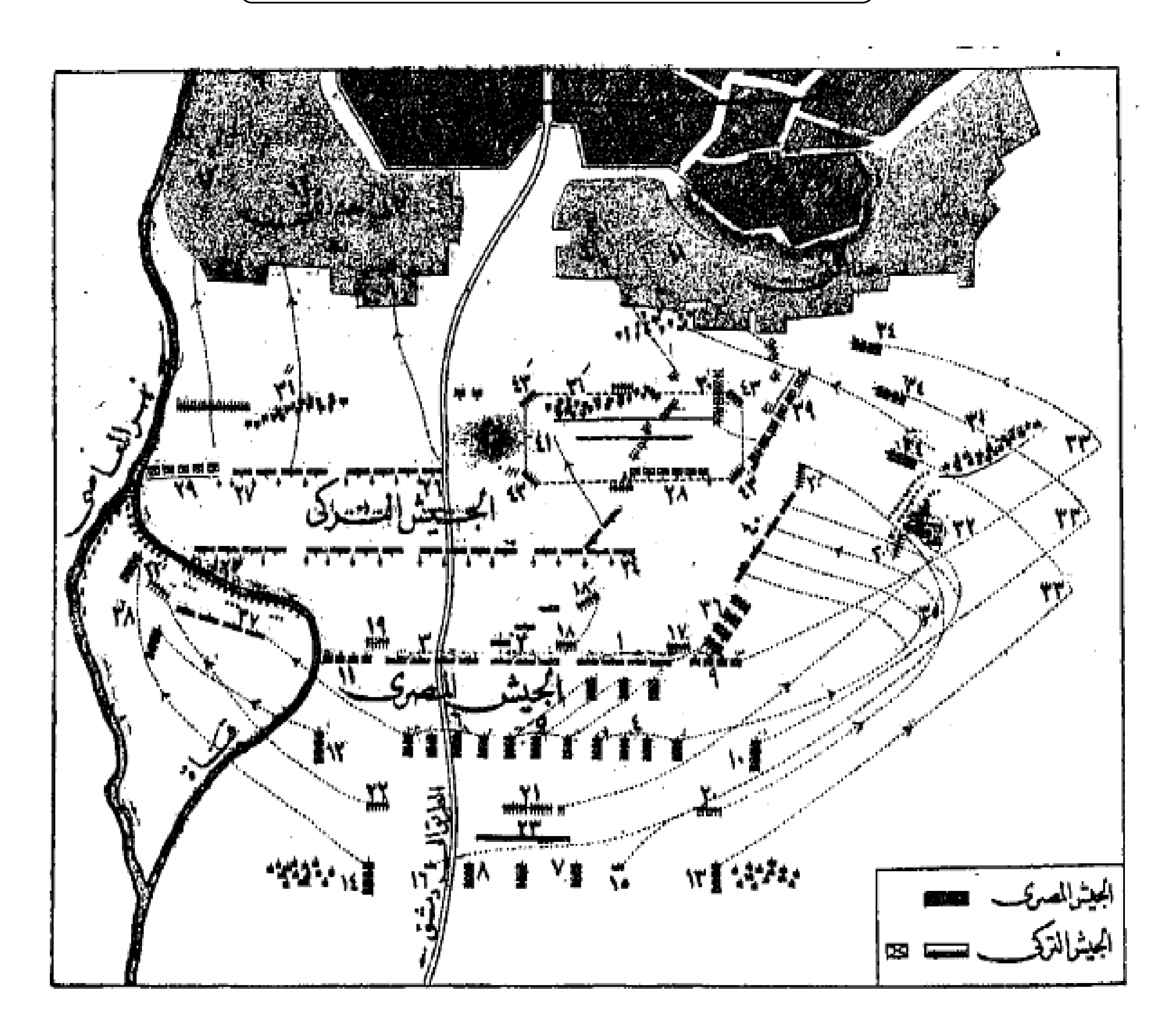
الملحق رقم 06



خريطة توضح خط سير حملة إبراهيم باشا على سوريا [1]

(1) مؤلف مجهول، مذكرات تاريخية عن حملة ابراهيم باشا على سوريا، المصدر السابق، ص 5.

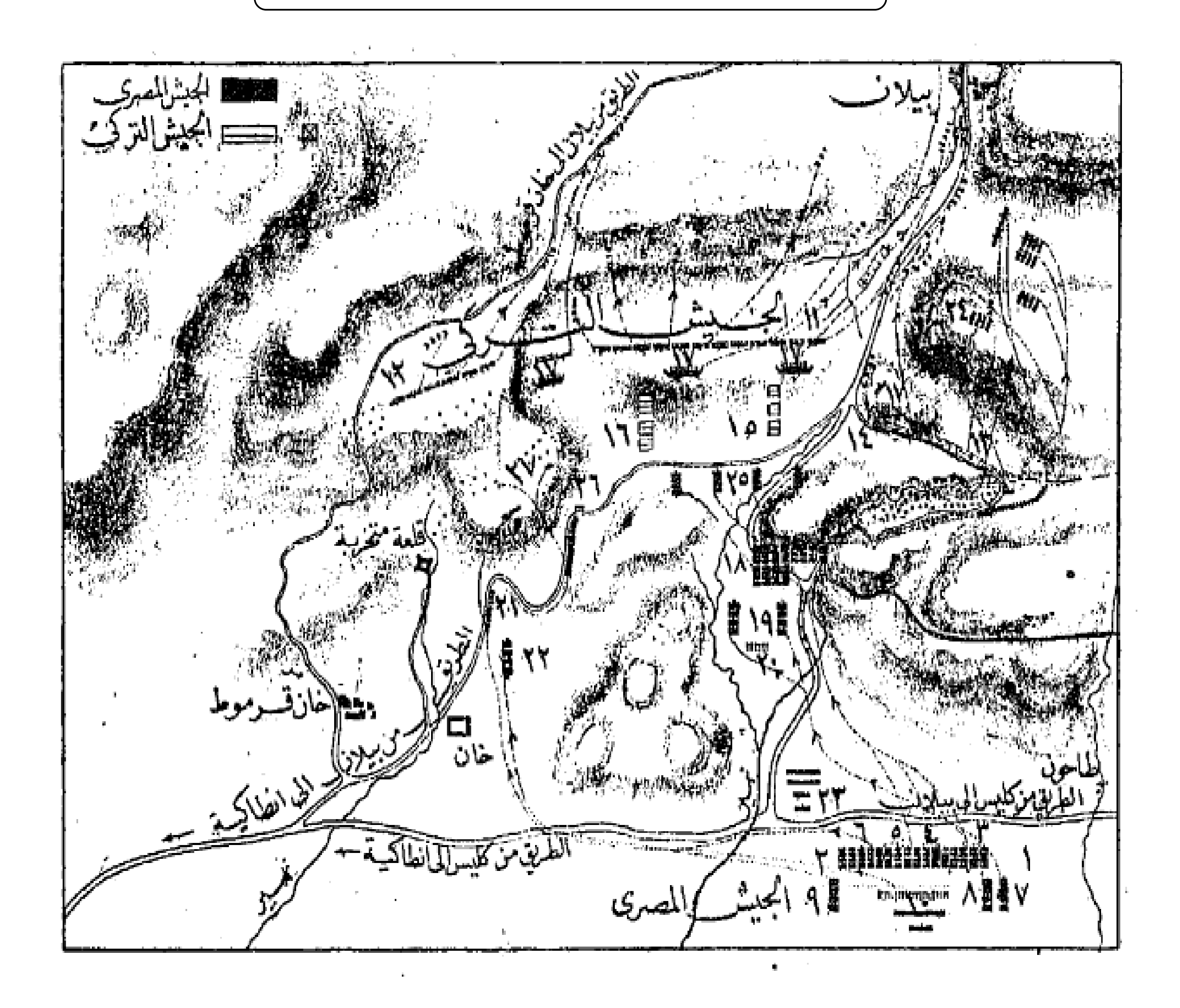
الملحق رقم 07



خريطة تبين واقعة حمص[1]

(1)عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، المصدر السابق، ص 233.

الملحق رقم 08

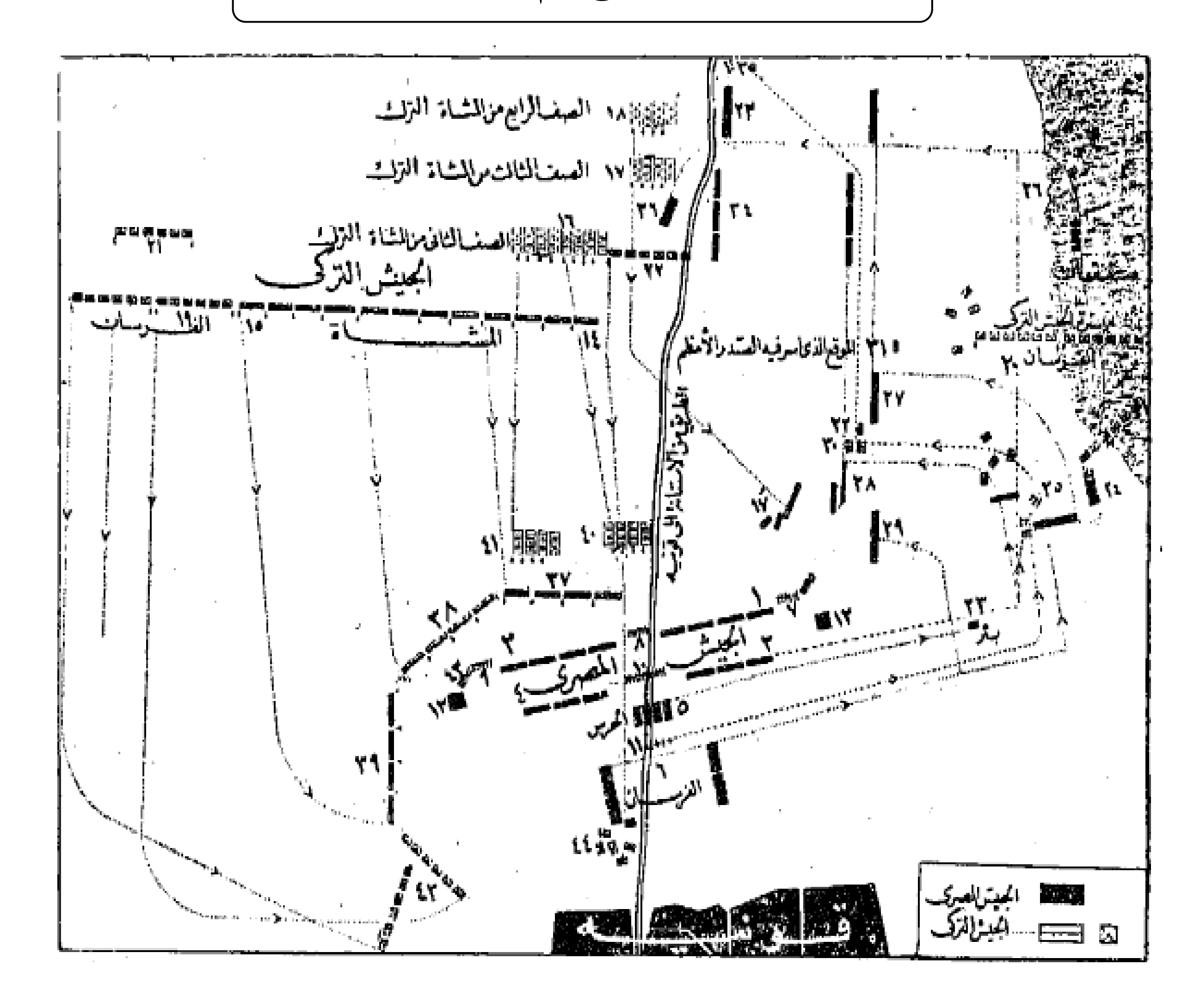


خريطة توضح واقعة بيلان [1]

---

(1)عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، المصدر السابق، ص 240.

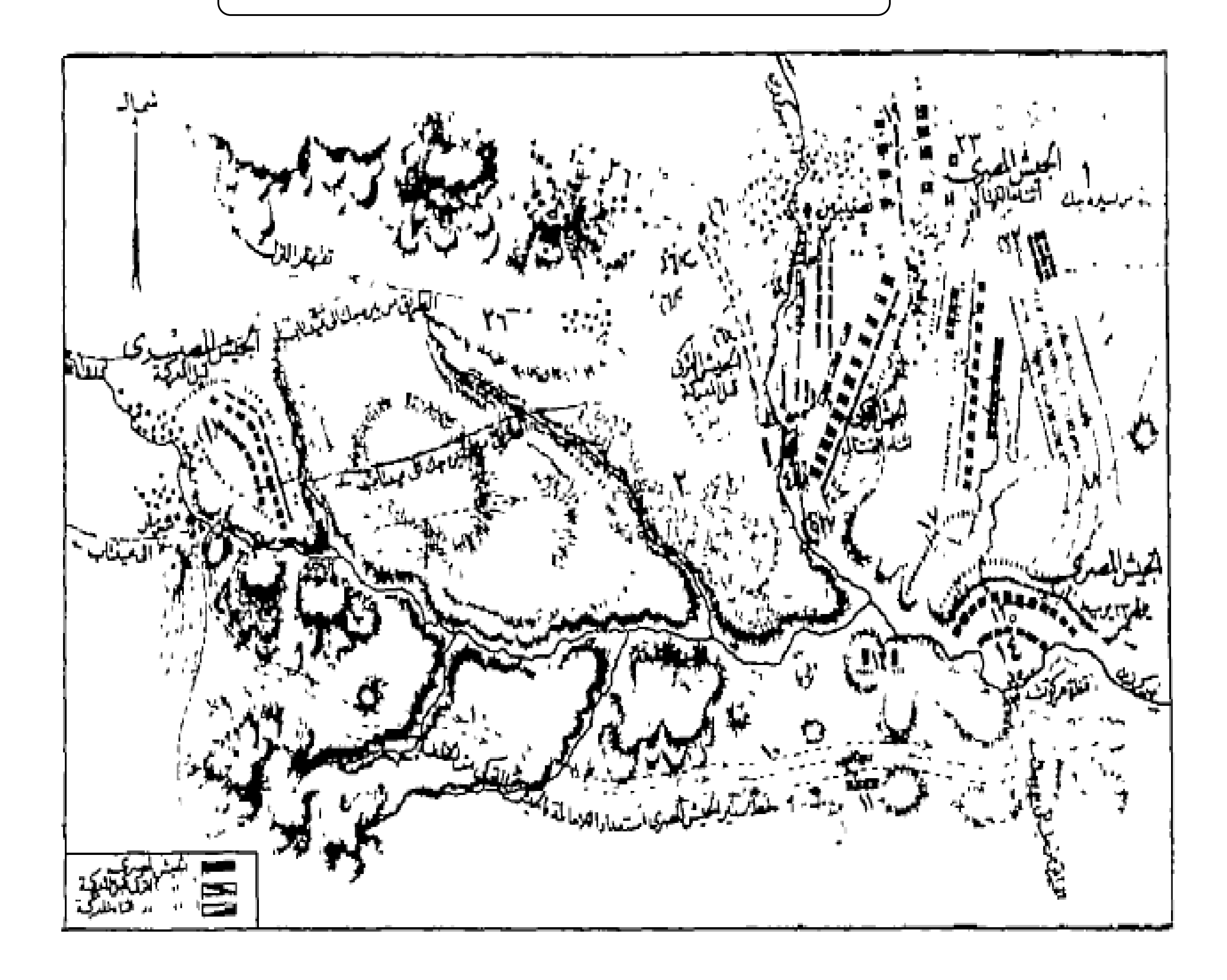
الملحق رقم 09



خريطة توضح واقعة قونية [1]

(1)عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، المصدر السابق، ص 247.

الملحق رقم 10



خريطة توضح "واقعة نصبين" في 24 يونيو 1839 م [1]

(1)عبد الرحمن الرافعي، عصر محمد علي، المصدر السابق، ص 279.

قائمة المصادر و المراجع

I.المصادر و المراجع:

1) إبن الأثير: الكامل في التاريخ، تح: محمد يوسف الدقاق،مج 10، ط4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2003 م.

2) إبن منظور: مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر- فضائل الشام و خطط دمشق - تح: رياض عبد الحميد و آخرون، ج1، ط1،دار الفكر، سوريا، دمشق، 1984 م.

3) أبو الفضل محمد عبد الفتاح: الصحوة المصرية في عهد محمد علي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1999 م.

4) أبو خليل شوقي: التاريخ العربي الإسلامي، ط5، دار الفكر، دمشق.

5) أبي الحسن علي بن الحسين علي المسعودي:مروح الذهب و معادن الجوهر، تح:محمد يحي الدين، ج1، ط5، دار الفكر، 1973 م.

6) أبي القاسم كمال الدين: زبدة الحلب من تاريخ حلب، تح: خليل المنصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996 م.

7) أحمد عبد الرحيم مصطفى: أصول التاريخ العثماني، ط 1، دار الشروق، القاهرة، 1993 م.

8) إسماعيل حلمي محروس: تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997 م.

9) إسماعيل حلمي محروس: تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة-1997 م.

10) إسماعيل محمد حسام الدين: مدينة القاهرة من ولاية محمد علي الى اسماعيل - 1808-1879- م،ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، مصر، 1997 م.

11) أسيدو: تاريخ العرب العام، حضارتهم مدارسهم الفلسفية و العلمية و الأدبية، تر: عبد الله علي الشيخ،ط1، الأهلية للنشر و التوزيع، عمان، 2002 م.

12) الأصمعي محمد عبد الجواد:قلعة محمد علي لا قلعة نابليون، دار الكتب المصرية، القاهرة،1924 م.

13) أمين أحمد: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

14) أوزتونا يلماز: تاريخ الدولة العثمانية، تر: عدنان محمود سليمان، مراجعة: محمد الأنصاري، مج2، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، إسطنبول 1996 م.

15)الأيوبي إلياس ، محمد علي سيرته و أعماله و آثاره، دار الهلال، مصر، 1923م.

16) البدري محمود عبد الستار: المواجهة المصرية الأوروبية في عهد محمد علي ، ط 1، دار الشروق، القاهرة، 2001 م.

17) بدوي جمال: محمد علي و أولاده، هيئة الكتاب المصرية، القاهرة، مصر، 1999م.

18) البرجس حمود برجس: فلسطين و القدس في التاريخ، دار النشر، الكويت، 1987م.

19) بروكلمان كارل: تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: أمين فارس، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت.

20) بك أصاف حضرة عزتلو يوسف: تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم الى الآن، ط1، مكتبة مديولي، القاهرة.

21) بول صوفيا لين: حريم محمد علي باشا-رسائل من القاهرة (1842- 1846 م)،تر:عزة كرارة، ط1، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، 1999 م.

22) بيات فاضل: الدولة العثمانية في المجال العربي-دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق و المصادر العثمانية أوسط القرن التاسع عشر-ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

23) بيضون جميل و أخرون: تاريخ العرب الحديث، ط 1، دار الأمل للنشر و التوزيع، 1991 م.

24) بيومي زكريا سليمان: قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، ط 1، عالم المعرفة، 1991 م.

25) تشرشل شارل هنري: حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974 م.

26) تمبرلي جرانت وهارولد: أوروبا في القرنين التاسع عشر و العشرين(1789–1950)، تر: بهاء فهمي، مؤسسة سجل العرب، 2001 م.

27) التونجي محمود: بلاد الشام إبان العهد العثماني، ط 1، دار المعارف، بيروت، لبنان، 2004 م.

28) الجبرتي عبد الرحمن بن حسن: عجائب الأثار في التراجم و الأخبار، تح: عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم، ج4، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997 م.

29) جرجي زيدان:مصر العثمانية،تح: محمد حرب، دار الهلال، الإسكندرية، 2003م.

30) الجميل سيار كوكب: تكوين العرب الحديث(1516–1916)، الموصل، 1991 م.

31) حتى فيليب: تاريخ العرب، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1991م.

32) الحسن عيسى: الدولة العثمانية عوامل البناء و أسباب الإنهيار، ط 1،دار الأهلية للنشر و التوزيع، لبنان، بيروت، 2009 م.

33) حسون علي: تاريخ الدولة العثمانية، ط3، المكتب الإسلامي، 1994 م.

34) حسين محمد كامل: طائفة الدروز تاريخها و عقائدها، دار المعارف، مصر، القاهرة، 1962 م.

35) حلاق حسان: مدن و شعوب، ج2، دار التراب الجامعية، سوفيتر.

36) حلاق حسان:تاريخ الشعوب الإسلامية الحديث و المعاصر، ط 1، دار النهضة العربية، بيروت، 2000 م.

37) حليم إبراهيم بك: التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية، ط 1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1988 م.

38) الحموي ياقوت الرومي البغدادي: معجم البلدان، مج 1، دار صادر، بيروت ، لبنان، 1977 م.

39) حنا عبد الله: الحركات العامة الدمشقية في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر،ط 1، دار إبن خلدون، بيروت، لبنان، 1985 م.

40) داركة صالح موسى: دراسات في الجغرافيا التاريخية لبلاد الشام، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 2001 م.

41) دولينا نينل ألكسندروفنا: الإمبراطورية العثمانية و علاقاتها الدولية في ثلاثينيات و أربعينيات القرن التاسع عشر، تر: أنور محمد إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1999 م.

42) الرافعي عبد الرحمن: عصر محمد علي إلى اليوم، ط 5، دار المعارف، القاهرة، 1989م.

43) الرجي خليل أحمد: تاريخ الوزير محمد علي باشا، تر: حمزة عبد العزيز بدور حسام إسماعيل، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة، 1991 م.

44) رفعت محمد: تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة، القاهرة، المطبعة الأميرية.

45) زكارسهيل: بلاد الشام في القرن التاسع عشر، التكوين للدرسات و الترجمة و النشر، دمشق، 2006 م.

46) السبكي أمال: أوروبا في القرن التاسع عشر،ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

47) سرهنك إسماعيل: حقائق الأخبار في دول البحار،مج1، بولاق، القاهرة، 1899 م.

48) سعيد أمين: سيرتي و مذكراتي السياسية(1908–1967)،تح:عبد الكريم إبراهيم السمك، ج1،ط1،الرياض.

49) سعيد أمين: ملوك المسلمين المعاصرون و دولهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999م.

50) السعيد سليمان أحمد: تاريخ الدول الإسلامية و معجم الأسر الحاكمة، دار المعارف، مصر، 1979 م .

51) سليمان عبد العزيز: تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الفكر العربي، الإسكندرية.

52) سليمان هلا: أثر الحملة المصرية على بلاد الشام(1830–1840)، المؤسسة الحديثة للكتاب، 2000 م.

53) شاكر محمود: العهد العثماني، ط4، المكتب الإسلامي ، بيروت، دمشق، 2000 م.

54) شفيق منير: تجربة محمد علي الكبير، ط 1، دار الفلاح للنشر، بيروت، لبنان للنشر، 1997 م.

55) شقير نعوم: جغرافية و تاريخ السودان، ط1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1967 م.

56) شكري محمد فؤاد: مصر و السودان–تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر ميلادي–1820–1988 م،ط3، دار المعارف، القاهرة،مصر، 1963 م.

57) شلبي أحمد: التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية، ج5، القاهرة، 1967 م.

58) الشناوي عبد العزيز محمد: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج 2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2004 م.

59) الشيخ رأفت : تاريخ العرب الحديث، عين للدراسات و البحوث الإنسانية، جامعة الزقازيق، مصر، 1994 م.

60) شيلشرليندا: دمشق في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر، تر: عمرو الملاح، ودينا، ط1، دار الجمهورية، دمشق، سوريا، 1998 م.

61) صابان سهيل : المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك، فهد للوطنية، الرياض، 2004 م.

62) صبري محمد: تاريخ مصر الحديث من محمد علي الى اليوم، ط 1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1926 م.

63) الصلابي علي محمد: الدولة العثمانية عوامل النهوض و أسباب السقوط، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2009 م.

64) ضرار صالح ضرار: تاريخ السودان الحديث، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965م.

65) الطبري: جامع البيان عن تأويل القرآن،تح: محمود شاكر، ج 30، دار المعارف، القاهرة.

66) طقوس محمد سهيل: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة، ط 3، دار النفائس للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، 2013 م.

67) طه جاد: سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، دار الفكر العربي، القاهرة- 1969- 1970 م.

68) طوسون عمر: الجيش المصري البري و البحري-صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي-، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996 م.

69) عبد الحكيم منصور: الدولة العثمانية من الإمارة الى الخلافة، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت.

70) عبد العزيز عمر: دراسات في تاريخ مصر الحديث و المعاصر- 1517-1952 م- الإسكندرية 1989 م.

71) عبد العزيز محمد رفعت: الجيش المصري و حروب الشام الأولى(1831-1833 م)،ط1، عين للدرسات و البحوث الإنسانية و الإجتماعية، عمان،1999 م.

72) عبد العزيز محمود عادل : إنهيار الخلافة العثمانية و توابعه على مصر، دار غريب للطباعة و النشر، القاهرة، 2007 م.

73) عبد الكريم أحمد عزت : دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1995 م.

74) عبد اللطيف عبد اللطيف محمد: دراسة نقدية و تحليلية للحكم المصري في الشام، كلية السلطة للعلوم الإنسانية، الأردن.

75) عبد المنعم أحمد فارس: السلطة السياسية في مصر و قضية الديمقراطية- 1805-1787 م،ط،1الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1997 م.

76) عبد الهادي جمال ورفعت وفاء محمد: الدولة العثمانية، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ، ط1، دار الوفاء، 1994 م.

77) عبد الهادي جمال: الطريق إلى بيت المقدس، ج1، ط5، دار الوفاء، 1997م.

78) عبيد جميل: قصة إحتلال محمد علي لليونان - 1824،1827- مطابع الهيئة المصرية للكتاب، 1990 م.

79) العسلي بسام: فن الحرب الإسلامي في العهد العثماني، مج 5، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1988 م.

80) العطار عدنان: الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط، ط 1، دار وحي القلم، دمشق،سوريا، 2006 م.

81) العظم حقي: تاريخ الدولة العثمانية مع اليونان، ط 1، مطبعة الترقي بشارع عبد العزيز، مصر، 1902 م.

82) عمر الإسكندري سليم حسن: تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، تح: الكبتن سفدج، ط2،مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996 م.

83) عمر عبد العزيز عمر: تاريخ المشرق العربي (1516- 1922)، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، لبنان.

84) عمر عبد العزيز عمر:تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر(1815-1919)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000 م.

85) عودة محمد عبد الله و الخطيب ياسين إبراهيم: تاريخ العرب الحديث، الأهلية للنشر و التوزيع، عمان،1989 م.

86) غربي الغالي: دراسات في تاريخ الدولة العثمانية و المشرق العربي- 1288-1916-ديوان المطبوعات الجامعية إبن عكنون، الجزائر، 2010 م.

87) الغنام سليمان بن محمد: قراءة جديدة لسياسة علي باشا التوسعية- 1811-1840-في الجزيرة العربية و السودان و اليونان و سوريا، ط1، دار البلد، جدة، 1980 م.

88) الفاروقي إسماعيل راجي: أطلس الحضارة الاسلامية،ط 1، مكتبة العيبكان، الرياض، 1998 م.

89) فهمي خالد: كل رجال الباشا-محمد علي و جيشه و بناء مصر الحديثة، تر: شريف يونس، دار الشروق، الرياض، 2011 م.

90) فوزي حسين: سندباد مصري، ط3، دار المعارف، النيل، القاهرة، 1119 م.

91) قرآن كريم: سورة إبراهيم، الأية 46.

92) قرآن كريم: سورة الإسراء، الأية 01.

93) القزوي زكريا بن محمد محمود: أثار البلاد و أخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان.

94) قطب محمد: واقعنا المعاصر، ط2، مؤسسة المدينة المنورة، 1988 م.

95) كامل باشا مصطفى: المسألة الشرقية، ج1، ط2، مطبعة اللواء.

96) كرد علي محمد: خطط الشام، ج1، ط1، مكتبة النوري، دمشق، 1983 م.

97) مؤلف مجهول: مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا في سوريا، تح: أحمد غسان سبانو، سلسلة دراسات ووثائق دمشق و الشام، دمشق.

98) مانتران روبير: تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السباعي، ج 2، دار الفكر للدراسات و النشر و التوزيع، القاهرة، 1992 م.

99) المحامي محمد فريد بيك: تاريخ الدولة العثمانية، تح: إحسان حقي،ط 1، دار النفائس، بيروت،1981.

100) محمد سالم لطيفة: الحكم المصري في الشام - 1831-1841، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة.

101) المسعودي: الدولة العثمانية في لبنان و سوريا-حكم أربعة قرون(1517-1916 م)، دار الكتب المصرية، مصر، 1916 م.

102) مشاقة ميخائيل: المشهد العيان بحوادث سوريا و لبنان، منشأة ملحم خليل عيدو، مصر،1908 م.

103) مصطفى نادية محمود: العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي-العصر العثماني من القوة و الهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية، ج 11، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة،1996 م.

104) المنجد محمد الصالح: طوبى للشام، ط 1، مجموعة زاد للنشر، فهرسة مكتبة فهد للوطنية، 2012 م.

105) نوارعبد العزيز: تاريخ العرب المعاصر، مصر، و العراق، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، 1973 م.

106) الهاشمي عبد المنعم: الخلافة العثمانية، ط1، دار إبن حزم للطباعة، بيروت، 2004 م .

107) ياغي إسماعيل أحمد: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، ط 2، مكتبة العبيكان، الرياض، 1998 م.

II.المراجع باللغة الأجنبية:

1- H,Temperley and L.M.penson : Foundations of-Brilish Foreign policy.

2- Hubert Deschamps , L’afrique noire Précoloniale, Presses Universitires de France, Paris , France, 1962.

III.المجلات:

1) إسطفان ميشال: تاريخ الطوابع- سوريا أيام الإنتداب-،مجلة تاريخ العرب و العالم، دار النشر العربية، ع10، بيروت، 1979.

2) بلال هدى علي: الصراع العثماني المصري على بلاد الشام و الموقف الدولي منه(1830- 1841)، ع4، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية.

3) البلخي علي يوسف: الموقف الدولي من إحتلال محمد علي باشا لبلاد الشام(1831- 1840 م)، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، 1992 م.

4) خوري جورج: المصالح الإستعمارية البريطانية و الحفاظ على الإمبراطورية العثمانية، مجلة دراسات تاريخية،ع41، دمشق،1992 م.

5) سنو عبد الرؤوف: السياسة الروسية إزاء الدولة العثمانية، ندوة أعمال روسيا و أرثوذكس الشرق، الجامعة البنانية، 1998 م.

6) شرف إبراهيم فؤاد: فتوحات الجيش المصري في عهد محمد علي باشا الكبير، مجلة المدفعية الملكية، القاهرة، 19 نوفمبر، 1949 م.

7) عبد أحمد غالب و طاهر خالد حامد: الموقف الروسي من التدخل المصري في بلاد الشام، (1831- 1841 م)، مجلة دراسات تاريخية، ع17، الأردن، 2012 م.

IV.الموسوعات:

1) البيطار فراس: الموسوعة السياسية و العسكرية، ج3، دار أسامة، عمان، 2003م.

2) رضا رشيد: موسوعة عصر النهضة، دار الكتاب العالمي، بيروت، لبنان، 1992م.

3) عجيل أمل: قصة و تاريخ الحضارات العربية-موسوعات تاريخية و جغرافية حضارية و أدبية -ليبيا- السودان و المغرب، ج11، دار بيروت، لبنان، 1999 م.

V.الرسائل الجامعية:

1) الحنفي يسرى: الإرساليات الأجنبية إلى بلاد الشام خلال القرن الثالث عشر هجري و حركة التصدي الإسلامي لها(1785 – 1882 م)،ج 1، جامعة أم القرى، مكة المكرمة،1992م.

2) الروقي عايض بن خزام: حروب محمد علي في الشام و أثرها في شبه الجزيرة العربية (1831–1839)–جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1986 م.

VI. المواقع لإلكترونية:

1) أبو عز الدين سليمان: إبراهيم باشا في سوريا ،نقلا عن:

http : //www docdes 4. Com.

2) فلاحة محمد خير: الخلافة العثمانية من المهد الى اللحد نقلا ،عن:

w.w.w.smart 10.com.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات